اختلاف الإحالة على ضمير الغائب وأثره في النص القرآني

د٠ طاهر عبد الفتاح الطويل (*)

المقدمة :

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

فيعد نحو النص أحد الاتجاهات المعاصرة التي تعنى بدراسة النص اللغوي مقابل نحو الجملة، الذي يجعل من الجملة " أعلى وحدة لغوية يمكن أن يطالها الوصف(١)، معرضًا عن القراءة التقليدية للنص، وطرق التحليل النحوي المعتادة؛ ناظرًا إلى النص ككل؛ "إيمانًا بأن هذا النحو يجتذبه النص أكثر مما تجتذبه الكلمة أو الجملة، وأن تجزئة النص ليست إلا وهمًا وخيالًا"(٢) .

إن الاعتماد على النص في فهم المعنى تنتفي معه فكرة استقلالية معنى الجملة عن غيرها؛ فالسابق يفسر اللاحق والعكس؛ وهو ما قصده فايرنش في تعريفه للنص بأنه "وحدة كلية مترابطة الأجزاء؛ فالجمل يتبع بعضها بعضًا وفقا لنظام سديد؛ بحيث تسهم كل جملة [في] فهم الجملة التي تليها فهمًا معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهمًا أفضل ....؛ فالجملة في النص لا تفهم في ذاتها فحسب، وإنما تسهم الجمل

(*) دكتوراه في النحو والصرف والعروض – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة .

(١) لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص : ٢٩ .

(٢) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د/ أحمد عفيفي، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى، ص ٩ .

الأخرى في فهمها . وهذا يبين أن الجملة ليست وحدها التركيب الذي نحدد به المعنى، وإنما نحدد المعنى أيضًا من خلال النص الكلي الذي تتضامن أجزاؤه وتتآزر"[١]، من خلال النظر إليه – إن صح التعبير– من علِ نظرة شاملة نحوية وسياقية؛ وعليه فإن " الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسة لغوية (جملة، مثلًا) تحليلًا كاملًا بدون مراعاة السياق قد أصبحت محل شك كبير"[٢] .

وقد وضع دي بوجراند معايير للنصية بدونها لا يطلق على الكلام نصًا، يقول: "وأنا أقترح المعايير الآتية لجعل النصية أساسًا مشروعًا لإيجاد النصوص واستعمالها"[٣] منطلقًا من أن النص حدث تواصلي، يلزم لكونه نصًا سبعة معايير، هي : السبك، والالتحام [الحبك]، والقصد، والقبول، ورعاية الموقف، والتناص، والإعلامية[٤] .

فالسبك والحبك يرتبطان بالنص ذاته، والقصد والتناص يرتبطان بمستعمل النص سواء أكان منتجًا أم متلقيًا، والإعلامية والمقامية والتناص ترتبط بالسياق المادي والثقافي المحيط[٥] .

ويعد الترابط بين أجزاء النص هو الغاية التي يسعى نحو النص إلى إثباتها والوصول إليها عن طريق الوسائل المختلفة – لفظيًا ومعنويًا – التي تعمل على التماسك والترابط بين أجزاء النص .

---

(١) نقلا عن اللغة والإبداع الأدبي، د / محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م، ص : ٣٨.

(٢) تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة وتعليق د/ محمد لطفي الزيلطني، د/ منير التريكي، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م : ص ٣٢.

(٣) النص والخطاب والإجراء، ترجمة د / تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ١٠٣ .

(٤) انظر النص والخطاب والإجراء : ص ١٠٣ : ١٠٥.

(٥) انظر د / سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مصر، المجلد ١٠، العدد ١، ٢، ١٩٩١م، ص : ١٥٤ .

وتعد الإحالة على الضمير أحد الوسائل اللفظية التي تعمل على الترابط والتماسك بين أجزاء النص؛ فهي تقع في نطاق معيار (السبك) الذي " يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي "[١]؛ فمكونات النص "ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظًا بكينونته واستمراريته "[٢] .

غير أنه يجب التنبيه على أن هذا الترابط اللفظي (السبك) لا يتم بمعزل عن بقية المعايير النصية الأخرى المتمثلة في الترابط المعنوي (الحبك)، ورعاية المقام والسياق .... إلخ؛ فإن "المتأمل للغة يراها صورة من نظام متشابك، تتوقف صلاحية هذا النظام على تكافل أركانه للوصول إلى كيفية تفيد المتلقي؛ حيث تتكافل الأنظمة الداخلية مع الأنظمة الخارجية للوصول إلى صورة ترتبط فيها المفاهيم، وتتعالق الأجزاء، وتتواصل الدلالة في تفاعل ومنطقية "[٣].

وتكمن **أهمية البحث** في ناحيتين : **الأولى** : تعلقه بأرقى النصوص العربية، وأرفعها بلاغة ألا وهو القرآن الكريم، ذلكم الكتاب المعجز الذي تحدى الله بـــه أرباب الفصاحة والبيان؛ فلم يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثله . فكان في التعامل معه على أنه وحدة واحدة مترابطة الأجزاء ما يجلي غوامضه ويظهر محاسنه.

الثانية : تناول الترابط والتماسك في النص القرآني من خلال بيان اختلاف الإحالة على ضمير الغائب، وأن ذلك الاختلاف أثرى المعنـــى، دون حـــدوث تناقض بين معاني النص القرآني .

---

(١) نحو النص : ص ٩٠.

(٢) نحو أجرومية للنص الشعري : ص ١٥٤.

(٣) نحو النص : ص ١٠٢.

أما **موضوع البحث** فهي قائم على دراسة بعض الآيات التي تعددت فيها الإحالة على ضمير الغائب ، سواء ما كان منه مرفوعًا، أو منصوبًا، أو مجرورًا. وأثر ذلك في اختلاف المعنى، ومحاولة الباحث التوفيق بين الإحالات المختلفة، أو العمل على ترجيح أحدها .

والباحث في هذا لا يدَّعي أنه أحاط بكل ضمائر الغائب التي تعددت واختلفت الإحالة عليها، فضلًا عن ضمائر المتكلم والمخاطب؛ إذ إن مثل هذا الأمر لا يقوم به بحث واحد إنما يحتاج إلى عدة أبحاث ودراسات مستقلة . ولعل الله – مستقبلًا – أن يقيض لهذا الأمر أحد الباحثين الذين يفردونه بدراسة مستفيضة تجمع أطرافه وتحيط بدقائقه .

وأما عن **أهداف البحث**، فمنها :

١ – بيان أهمية الضمائر كإحدى أدوات الربط والتماسك النصي .

٢ – تعرف دور الإحالة على الضمير وأثرها في تماسك وترابط النص بشكل عام، والنص القرآني بشكل خاص .

٣ – بيان أثر اختلاف الإحالة على الضمير، ودورها في إثراء المعنى.

وأما **سبب اختيار موضوع البحث**، فهو شغف الباحث بالموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم، وبخاصة التي تبين تعدد معانيه وتكاملها، واختلاف أوجه بيانه؛ حيث يعد القرآن الكريم على مرِّ العصور ميدانًا خصبًا للدراسات اللغوية ومعالجة قضاياها .

وأما **المنهج المستخدم في البحث** فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف الظاهرة وتحليلها، والوقوف على أسبابها، وأثرها .

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة : أما **المقدمة** فقد تحدثت فيها عن نحو النص، وحرصه على بيان مدى الترابط

والتماسك بين أجزاء النصّ؛ وموضوع البحث، وأهميتــه، وأهدافــه، وســبب اختياره، والمنهج المستخدم فيه .

وأما **التمهيد** فقد تحدثت فيه عن معنى الإحالة لغة واصطلاحًا، وأشرت إلى الضمير بشكل عام ومعناه، وأثره في الاستخدام اللغوي، ومنه ضمير الغائــب على وجه الخصوص .

وأما **المباحث الثلاثة** فقسمتها تبعًا للموقع الإعرابي لضمير الغائب المحال عليه؛ فكان المبحث الأول : ضمير الغائب المرفوع، والمبحث الثاني : ضمير الغائب المنصوب، والثالث : ضمير الغائب المجرور .

وجاءت الخاتمة متضمنة أهم نتائج البحث .

تمهيد

(الإحالة) لغة :

الإحالة مصدر الفعل الرباعي (أحال)، وهي تغيير الشيء ونقله من مكـــان لآخر، جاء في تاج العروس " أحال الشيء، تحول من حال إلى حال، أو أحال الرجل : تحول من شيء إلى شيء "[١]، وجاء في لسان العرب : " المحال من الكلام ما يعدل به عن وجهه، وحوَّله : جعله محالًا، وأحـــال : أتـــى بمحـــال، ورجل محوال : كثير محال الكلام .... ويقال : أحلت الكلام أحيله إحالـــة، إذا أفسدته ... "[٢].

(الإحالة) اصطلاحًا :

الإحالة إحدى مصطلحات علم النص، وهذا لا ينفي وجود جذور لها عند علمائنا القدامى الذين أدركوا دور الإحالة وأثرها في الكشف عن المعاني المختلفة[٣]. وهي " العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، وزارة الإعلام بالكويت، الجزء الثامن والعشرون، حققه د / محمود محمد الطناحي، راجعه الأستاذ / عبد السلام محمد هارون : ص ٣٦٦ مادة (حول).

(٢) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، طبعة جديدة مصححة، اعتنى بتصحيحها : أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـــ- ١٩٩٩م، مادة (حول) : ٣ / ٤٠٠ .

(٣) راجع على سبيل المثال، لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص : ١٧٣ وما بعدها . دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د/ سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م، ص : ٩٦، وما بعدها .

العالم الخارجي، الذي تشير إليه العبارات من جهة أخرى"[١]، أو كما يعرفها (جون لويز) بأنها " العلاقة بين الأسماء والمسميات .... فالأسماء تحيل إلى مسميات "[٢]؛ إذًا فـ " الإحالة علاقة دلالية، ومن ثَم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه "[٣] .

و" الإحالة ليست شيئًا يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرًا معينًا "[٤]، "وعلى هذا فإن للمتكلم أو الكاتب الحق في الإحالة حسبما يريد هو، وعلى المحلل أن يفهم كيفية تلك الإحالة حسب النص والمقام "[٥] .

ويعد النص نسيجًا من العلاقات اللغوية المتشابكة والمتداخلة التي تسهم في تكوين النص وتشكيله ليخرج على الهيئة التي يريدها قائله. وقد تعددت الوسائل والأدوات التي تعمل على تماسك النص وترابطه، وتعد الإحالة على اختلاف أنواعها، أحد أهم آليات الربط والاتساق بين أجزاء النص. فالإحالة "من أكثر الوسائل الاتساقية أهمية في الربط بين أجزاء النص؛ إذ قلما يجد المتلقي نصًّا خاليًا منها؛ بل إن أغلب الوسائل الأخرى يعتمد عليها أو يدخل فيها. ولا نذهب بعيدًا إذا قلنا: إن نظرية الاتساق تعتمد بالدرجة الأساس على مفهوم

---

(١) مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند ودريسلر وآخرون، دار الكتاب، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م : ص : ٥٣.

(٢) انظر نحو النص، ص : ١١٦.

(٣) لسانيات النص : ص ١٧.

(٤) تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة وتعليق د/ محمد لطفي الزيلطني، د/ منير التريكي، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م : ص ٣٦.

(٥) نحو النص، ص : ١١٧.

الإحالة ووظيفتها "[1]؛ وما ذلك إلا كونها "وسيلة لغوية من وسائل تحقيق التسلسل أو التتابع الخطي للجمل على المستوى التركيبي، وتأكد الترابط المضموني بين دلالات القضايا في البنية الكبرى على المستوى الدلالي؛ إذ يمكن من خلال هذه العناصر الإحالية أن تتشكل شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص "[2]؛ فهي تمد "جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص؛ إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص فتجتمع في كلٍّ واحد (من تلك الأجزاء) عناصر متناغمة "[3] .

وهذا التأكيد على دور الإحالة في تماسك النص هو ما أكده الأزهر الزناد بقوله : " يكتمل الملفوظ (نصًّا) عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الروابط الإحالية، وهذه الروابط تختلف من حيث مداها ومجالها؛ فبعضها يقف في حدود الجملة الواحدة، يربط عناصرها الواحد منها بالآخر، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص؛ فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي، ولكن الواحد منها متصل بما يناسبه أشد الاتصال من حيث الدلالة والمعنى . فالإحالة عامل يحكم النص كاملًا في تواز مع العامل التركيبي

(١) الاتساق في العربية، رسالة ماجستير، الباحث / حازم رشك حسَوني، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦ م: ص ٣٢ . نقلًا عن تحليل الخطاب القرآني في ضوء الاتجاه النصي تطبيقات على آيات الوعد والوعيد في السور المكية، رسالة ماجستير، الباحث / سعد صهيب خضر، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق، ١٤٣٢ه- ٢٠١١م، ص : ٣٦.

(٢) ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة والبنية والدلالة، د / سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م : ص ٢٣٥.

(٣) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص : ٩٨.

والعامل الزمني "[١]. ويجب الإشارة إلى أن ما تقوم به الإحالة من الترابط بين مكونات النص والتلاحم بين أجزائه يسهم بشكل كبير في فهم النص ومعرفة مقصد قائله، وبيان جمالياته، فقد " أثبتت بعض الدراسات أن عدم القدرة على التعرف على الترابط في النص المقروء ينجم عنه صعوبات في فهم النص المقروء؛ حيث أشار ريد (Read) إلى أن عدم القدرة على فهم الإحالات في النص – وهي من أنواع الترابط في النص – هي إحدى أكبر ثلاثة عوامل تعيق فهم اللغة، وهي : غموض المعنى، والإحالات والكنايات "[٢]. كما أظهرت " هذه الدراسات وجود علاقة بين النص المترابط والفهم "[٣]؛ فالنص غير المترابط يعيق الفهم، على النقيض من النص المترابط الذي يزيد من قدرة المتلقي على فهم النص وتفسيره. ويلزم للباحث عند الرجوع بالإحالة إلى ما تشير إليه أن يحتكم إلى النص ككل لا إلى أجزائه فقط من جمل ومفردات؛ لذلك يجب علينا أن نتجاوز مفهوم الجملة باعتبارها وحدة تحليل؛ بل علينا أن نتجاوزها آخذين بعين الاعتبار ما قبلها، وما بعدها، كما علينا الأخذ بعين الاعتبار السياق والمقام، والملابسات الخارجية التي تحيط بالنص؛ التي تسهم في إيجاد تفسيرات وإحالات متعددة للنص .

وللإحالة وسائل عدة منها: الإحالة بالضمائر، وبأسماء الإشارة، وبالأسماء الموصولة، وبأدوات المقاربة كالتشبيه، وبأدوات المقارنة مثل : أكثر، وأقل، وبالتكرار، وبـ (أل) التعريف .... وغير ذلك[٤] .

---

(١) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م : ص ١٢٤.

(٢) مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية، دكتوره ريما سعد سعادة الجرف، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٨٧، ٢٠٠١م : ص ٤.

(٣) مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية : ص ١٥.

(٤) انظر: نحو النص، د / أحمد عفيفي : ص ١١٨.

وتعد الإحالة بالضمائر هي الأصل في أدوات الربط، يقول ابن هشام : "روابط الجملة فيما هي خبر عنه. وهي عشرة : أحدها الضمير، وهو الأصل"(١)، كما أنها الأكثر شيوعًا(٢)؛ حيث يلجأ إليها المتكلم ليحدث نوعًا من التماسك النصي؛ فاستخدام الضمائر ما هو إلا اختصار لبعض عناصر النص؛ فهي إما أن تعود إلى ما قبلها أو ما بعدها، وبالتالي فإنه يسهل على المتلقي أن يربط بين عناصر النص، ويرجع كل إحالة إلى صاحبها .

أنواع الإحالة :

تنقسم الإحالة إلى نوعين :

١- إحالة نصية أو داخلية : وفيها يتم إحالة بعض الوحدات اللغوية على وحدات أخرى داخل النص، سواء أكان ذلك بالرجوع إلى عناصر سابقة أم إلى عناصر لاحقة سوف تأتي .

وهذه الإحالة بدورها تنقسم إلى نوعين :

أ – الإحالة القبلية : وهي تعتمد على العناصر التي سبق ذكرها في النص، وتكون هذه الإحالة باستعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة أخرى سابقة في النص؛ فيتحقق الربط بين أجزاء النص وعناصره اللغوية من خلال الترابط بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري كأن" تحيل صيغة الإحالة

---

(١) مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م : ٢ / ٥٧٣ .

(٢) يؤكد ذلك الإحصاء الذي قام به الدكتور صبحي إبراهيم الفقي من دراسته لسورة الأنعام؛ حيث وجد أن عدد الضمائر بها (١٣٢٠)، أما أسماء الإشارة فعددها (٥١) موضعًا، وأما الأسماء الموصولة فعددها (٨٥) موضعًا . راجع علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د / صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م : ص ١ / ١٩٨.

إلى عنصر لغوي متقدم. وقيل : إنها إحالة بالعودة؛ حيث تعود إلى (مفسر)، أو عائد سبق التلفظ به "[١].

ب – الإحالة البعدية أو اللاحقة : وتكون هذه الإحالة باستعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقًا في النص، ويمكن تعريفها بأنها إحالة "عنصر لغوي أو مكون ما إلى عنصر آخر تالٍ له في النص، أو مكونات من عناصر متأخرة عن عنصر الإحالة، وقيل : هي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، ولاحِق عليها "[٢]، ومن أمثلة الإحالة البعدية أو اللاحقة الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة، كما في أسماء السور، والجمل الأولى منها، بل أحيانًا الكلمة الأولى منها؛ فهذا كله يحيل لما سوف يأتي في النص[٣]. ومنه أيضًا ضمير الشأن وأدوات التشبيه، بالإضافة إلى العبارات الاستهلالية، مثل : أما بعد، وكل ما يتعلق بالقول، نحو : قال، يقول، وأقول، وغيرها[٤].

٢ – إحالة مقامية أو خارجية : وفيها يتم إحالة الوحدات اللغوية إلى أشياء خارج النص[٥]، وهذا النوع من الإحالة يتم فيه: "إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي . كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم؛ حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم . ويمكن أن يشير

---

(١) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه : ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) انظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية : ص ١ / ٤٠.

(٤) انظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : ص ١٠٥.

(٥) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٨م : ص ٨٩.

عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملًا؛ إذ يمثل كائنًا أو مرجعًا موجودًا مستقلًا بنفسه "[١] . ويمكن تعريف هذه الإحالة أيضًا بأنها " العلاقة الموجودة بين النص أو بعض عناصره وبين السياق الخارجي؛ فالنص يُفسَّر بإشارات ومعانٍ قائمة بالخارج، وتُعدُّ منه بمنزلة الأسباب التي أوجدته، فإذا فُهِمَتْ الأسباب الخارجية تبدّد الإشكال وحصل فهم معنى النص بواسطة هذه الإحالة الخارجية"[٢]. وهذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال أو المقام والملابسات المحيطة بالنص، وهو ما يجعل من الأهمية بمكان ضرورة الوقوف على أسباب النزول في النص القرآني؛ إذ كثيرًا ما يغمض عود الضمير بسبب عدم معرفة هذه المناسبات[٣] .

"ومهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي"[٤]، ولا غنى للباحث والقارئ عن إحدى الإحالتين بالأخرى؛ فإذا كانت الإحالة النصية تعمل على تحقيق الاتساق الداخلي للنص؛ فإن الإحالة المقامية تعمل على تحقيق الانسجام بين الخطاب والمقام فيجعل النص مقبولا لدى المتلقي .

تعريف الضمير :

يقول (ابن يعيش): "المضمر ضرب من الكناية؛ فكل مضمر كناية، وليس كل كناية مضمرًا، وإنما صارت المضمرات معارف؛ لأنك لا تضمر الاسم إلا وقد علم السامع على من يعود، فلا تقول : ضربته، ولا : مررت بـــه، حتـــى

(١) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا : ص ١١٩.

(٢) قضية الإحالة والبنية الإحالية في النص : ص ٣.

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية : ١ / ٤٠.

(٤) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، ص ١١٩.

يعرفه ويدري من هو .... والمضمر يصلح لكل مذكور، فلا يخص شيئًا بعينه، وقد يكون المذكور قبله نكرة؛ فيكون نكرة أيضًا على حسب ما يرجع إليه ..... وأما قولهم : إنه قد يعود إلى نكرة فيكون نكرة، فنقول : لا نسلم أنه يكون نكرة؛ لأنا نعلم قطعًا من عني بالضمير "[١]، وقيل إن الضمير " هو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظًا أو معنى أو حكمًا "[٢]، و"تعد الضمائر من معوضات الأسماء العائدة إليها، تستخدم بحثًا عن الاختصار، ويسمى الاسم الذي يعود عليه الضمير مفسر الضمير "[٣]، وهذه " المضمرات لا يتحدد محتواها إلا إذا ربطت بما يفسرها "[٤] . نظرًا لما يكتنفها من الخفاء والإبهام فكان في حاجة إلى ما يزيل إبهامها ويبين المراد بها لافتقار الضمير إلى مفسره، وهو ما أشار إليه الأستاذ عباس حسن بقوله: "الضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض، سواء أكانت للمتكلم أم للمخاطب، أم للغائب، فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها ويفسر غموضها"[٥] .

وتكتسب الضمائر أهميتها في التراكيب اللغوية، من كونها نائبة عن الأسماء، ويعلل الدكتور تمام حسان توظيف الضمير بدلا من الاسم؛ لأن ذلك "أيسر في الاستعمال، وأدعى إلى الخفة والاختصار، بل إن الضمير إذا اتصل

---

(١) شرح المفصل موفق الدين بن يعيش، صححه وعلق عليه: جماعة من العلماء بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، المطبعة المنيرية، القاهرة، بدون تاريخ : ٥ / ٨٦، ٨٧.

(٢) شرح كافية ابن الحاجب للرضي، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه، د / إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٤ م : ٣ / ٦.

(٣) العائدية الخطابية : مقاربة تداولية معرفية، الأستاذ / لحسن توبي، مجلة اللسان العربي، العدد (٤٥) : ص ٣٦.

(٤) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : ص ١٠٩.

(٥) النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٦٣ م : ١ / ١٧٦.

فلربما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصرًا ثالثًا هو الاقتصار. وهذه العناصر الثلاثة هي من مطالب الاستعمال اللغوي"[١] ما يحقق التماسك للنص؛ "حيث تتعاون الضمائر مع الأسماء المتكررة، وتشكل معًا شبكة اسمية إحالية، أو ضفيرة إحالية "[٢] .

" ويختلف نظام الضمائر عن نظام الأسماء في وجوه عديدة، لعل أهمها :

- تكوِّن الضمائر نظامًا مغلقًا محددًا، في حين تكوِّن الأسماء الصريحة قسمًا مفتوحًا .
- تتميز الضمائر ببعض السمات الصرفية التي تغيب عن الأسماء، من ذلك انقسامها حسب الإعراب إلى ضمائر رفع وضمائر نصب، وهذا معدوم في قسم الأسماء "[٣] .

"وشرط الإضمار أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد؛ بحيث لو عدنا إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه . أي أننا إذا كان لدينا جملة، مثل : (ذهب زيدٌ إلى بيته)؛ فسأل سائل : بيت من ؟ كان الجواب : بيت (زيد) المذكور؛ فحلَّ (زيد) المذكور محلَّ الضمير دالًا على ما دلَّ عليه الضمير . وإذا قرأنا آية مثل قوله تعالى : ﴿وَظَنَّ

(١) البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م : ص ١١٩.

(٢) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك، ترجمه وعلق عليه: د / سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م : ص ١٢٥.

(٣) نسيج النص : ص ١١٧.

﴿دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾[١] فهمنا أن الفتنة وقعت على داود، وأن الضمير حلَّ محل داود لقبح الإظهار، ولما فيه من إطالة لا مبرر لها "[٢] .

ويعد ضمير الغائب – من بين الضمائر : المتكلم والمخاطب والغائب – هو الأهم؛ حيث إنه يأتي بعدد تراكمي من الإحالات على الكلام السابق؛ وذلك يسهم في الترابط الداخلي للنص، ويوجِد شبكةً من خطوط الإحالة، بحيث يرتبط كل استعمال بكل الاستعمالات السابقة التي تصل إلى الإحالة الأولى الأصلية [٣].

" ويمكننا أن نقسم إحالات ضمير الغائب على أقسام :

١- أن يحيل على شيء سبق في اللفظ بالمطابقة، وهو الأصل، ومنه قوله تعالى في قصة آدم : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[٤]

٢- أن يحيل على مذكور في سياق الكلام، مؤخر في اللفظ، مقدم في البنية، كقوله تعالى في قصة موسى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ [٥]

٣- أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمن، كقوله تعالى : ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٦] [أي : العدل أقرب، دل عليه الفعل اعدلوا]

---

(١) سورة ص، من الآية (٢٤).

(٢) البيان في روائع القرآن، ص ١١٩.

(٣) انظر: تحليل الخطاب : ص ٢٤٠، الإحالة وأثرها في النص القرآني، د / أنس بن محمود فجَّال، نادي الإحساء الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م : ص ٣٧٠.

(٤) سورة طه، من الآية (١١٨).

(٥) سورة طه، من الآية (٦٦) .

(٦) سورة المائدة، من الآية (٩) .

٤- أن يدل عليه بالالتزام، كإضمار النفس في قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[١] " [٢] .

وقد قسم الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري ضمير الغائب إلى ثلاثة أقسام[٣] :

الأول : (ضمير الشخص) أو (ضمير العائد)، كما في قولنا : (هو ذكي)؛ فهذا الضمير محال، وبحكم طبيعته الإحالية لا بد أن يكون له خصائص تضم الشخص والعدد والجنس؛ فـــ (هو ذكي)= (زيدٌ ذكي) .

الثاني : الضمير الذي له سمة العدد والجنس، وليس له سمة الشخص، نحو (الجنود هم المسئولون).

الثالث : الضمير الذي ليس له سمة العدد ولا الشخص ولا الجنس، وهو (ضمير الشأن)، أو الضمير المبهم، نحو إنه يؤسفني أن أقول هذا .

* *

(١) سورة الواقعة، من الآية (٨٦).

(٢) الإحالة وأثرها في النص القرآني : ص ٣٧١.

(٣) ضمير الغائب في المجال المقارن، نقلا عن الإحالة وأثرها في النص القرآني : ص ٣٧٢ .

المبحث الأول

ضمير الغائب المرفوع

سنذكر في هذا المبحث نماذج لضمير الغائب المرفوع، وبيـــان اخـــتلاف الإحالة عليه، من ذلك :

* قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[1] .

اُختلِف في المحال عليه الضمير المنفصل المرفوع (هو) على أوجه :

١- إنه محال على (الإخراج)[2]، فتكون إحالة داخلية قبلية . يقول: (مكي) "(هو) يعود على الإخراج لتقدم ذكر (تخرجون)"[3]. وبيَّن كلٌّ من (الفراء)[4]، و(الزجاج)[5] أن السبب في مجيء الضمير (هو) أن أصل

---

(١) سورة البقرة، الآية (٨٤) وصدر الآية (٨٥).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء، تحقيق الأستاذين : محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م : ١/٥٠، معاني القرآن للزجاج، شرح وتحقيق د / عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م : ١ /١٦٧، مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د / حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤ م: ١ / ١٠٣، وأجازه أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م : ١/ ٢٤٥، والزمخشري : الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر، رتبه وضبطه وصححه : مصطفى حسين أحمد،دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة،١٤٠٧ه- ١٩٨٧ م : ١ / ١٦٠ .

(٣) مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٠٣ .

(٤) انظر: معاني القرآن : ١/ ٥٠ .

(٥) انظر: معاني القرآن : ١ / ١٦٧.

الكلام: (تخرجون فريقًا منكم من ديارهم وإخراجهم محرم عليكم)؛ فلمَّا طال الكلام وتراخى، وفُصل بينه بقوله :﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..... تُفَادُوهُمْ﴾أعاد الإخراج مرة أخرى تكريرًا على (هو) لمَّا حال بين الإخراج وبين (هو) كلام "[1] .

وعلى هذا الوجه يكون (هو) مبتدأً، و(محرم) خبره، و(إخراجهم) بدل من (هو)[2]، أو يكون (إخراجهم) نائب فاعل لاسم المفعول (محرم)[3].

٢ – إنه ضمير الشأن[4] فتكون الإحالة إذًا داخلية بعدية؛ إذ إن ضمير الشأن فسرته الجملة التي بعده . ويعلل (الزجاج) لذلك بقوله : " وجائز أن يكون للقصة والحديث والخبر، كأنه قال : الخبر محرم عليكم إخراجهم . كما قال عزَّ وجلَّ :﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾، أي : الأمر الذي هو الحق توحيد الله "[5] .

واختلف في إعراب ما بعد (هو) على هذا الوجه . فذهب الفراء[6] إلى أن (محرم) خبر (هو)، و(إخراجهم) مرفوع بـ (محرم) على أنه نائب فاعل . وذهب (النحاس)[7] و(مكي)[8] إلى أن (الإخراج) مبتدأ ثانٍ، و(محرم) خبره،

---

(١) معاني القرآن للفراء : ١ / ٥٠.
(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس : ١ / ٢٤٥، مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٠٣.
(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه د / عبد الزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢ م : ١ / ٤٢٤.
(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس : ١ / ٢٤٥، مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٠٣، الكشاف: ١ / ١٦٠، وأجازه الزجاج، انظر معاني القرآن : ١ / ١٦٧.
(٥) معاني القرآن للزجاج : ١ / ١٦٧.
(٦) معاني القرآن للفراء : ١ / ٥٠ .
(٧) إعراب القرآن للنحاس : ١ / ٢٤٥ .
(٨) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٦٧.

والجملة خبر (هو)، وفي (محرم) ضمير المفعول الذي لم يسم فاعله يعود على الإخراج، وهو نفسه ما يفهم من كلام الزجاج[١].

٣ – ذهب (الفراء) إلى أن الضمير (هو) ضمير الفصل، أو كما يسميه الكوفيون (العماد)، يقول: "وإن شئت جعلت (هو) عمادًا "[٢]، واعترض (النحاس) على ذلك بقوله : "وزعم الفراء أن (هو) عماد، وهذا عند البصريين خطأ لا معنى له؛ لأن العماد لا يكون في أول الكلام "[٣] .

وأوضح (أبو حيان) هذا؛ إذ بيَّن أن الكوفيين إنما أجازوا أن يكون (هو) ضمير فصل تقدم مع الخبر، والتقدير عندهم : وإخراجهم هو محرم عليكم؛ فلما تقدم الخبر على المبتدأ تقدم معه ضمير الفصل، وهذا لا يتفق مع قول البصريين بأن ضمير الفصل لا يجوز وقوعه بين معرفة ونكرة لا تقارب المعرفة، وأنه لا بد أن يقع بين مبتدأ وخبر أو بين ما هما أصله[٤].

ويرجح الباحث الرأي الأول كون الضمير محالًا على (الإخراج)؛ فمحور الآيات هو أخذ الميثاق على بني إسرائيل بعدم قتل النفس، أو إخراج بعضهم بعضًا من ديارهم، وقيل بل هو إساءة الجوار إلى غيرهم فيضطرونهم إلى الخروج[٥]، فلما انتهكوا ذلك – وكان معروفًا لدى الجميع حرمة القتل– حرصت الآية على بيان حرمة الإخراج من الديار ظلمًا، سواء أكان هذا متعمدًا أم بإساءة الجوار فيخرج منها أهلها؛ حتى لا يستهان بهذا الأمر .

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج : انظر: معاني القرآن للزجاج : ١ / ١٦٧.

(٢) معاني القرآن للفراء : ١ / ٥٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ١ / ٢٤٥.

(٤) انظر: البحر المحيط : ١ / ٤٢٥.

(٥) انظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ : ١ / ١١٧ .

* قوله تعالى :﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

اُختلِف في المحال عليه الضمير المنفصل المرفوع (هو) على أوجه:

١- إنه محال على (أحدهم)(٢) المذكور قبله؛ فتكون إحالة داخلية قبلية؛ إذ هو الأقرب إلى الضمير، يقول الزجاج: "هذا كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره، كأنه قال : وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره "(٣)، و(ما) هنا تحتمل أحد وجهين : إما أن تكون (ما) الحجازية العاملة عمل (ليس)، يقول الفراء : " والمعنى – والله أعلم – ليس بمزحزحه من العذاب التعمير"(٤)، ويكون (بمزحزحه) خبرها، والتعمير أو تعميره فاعل بمزحزحه(٥) . وإما أن تكون (ما) تميمية غير عاملة و(بمزحزحه) خبرها(٦) .

---

(١) سورة البقرة، من الآية (٩٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء : ١ / ٥١، معاني القرآن للزجاج : ١ / ١٧٨، مكي : مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٠٥، الكشاف : ١ / ١٦٨، واختاره أبو حيان ووصفه بالأظهر، البحر المحيط : ١ / ٤٥٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج : ١ / ١٧٨.

(٤) معاني القرآن للفراء : ١ / ٥١، وانظر البحر المحيط : ١ / ٤٥٤ .

(٥) انظر: الكشاف : ١ / ١٦٨، البحر المحيط : ١ / ٤٥٤.

(٦) اختار الأخفش هذا الوجه، وحسَّن دخول (الباء) على الخبر بقوله : " وقد حسنت الباء كما تقول : ما عبد الله بملازمه زيدٌ " معانى القرآن الأخفش الأوسط أبو الحسن المجاشعي، تحقيق: د / هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م : ١ / ٣٢٣، وهو الرأي المقدم عند ابن عطية، انظر المحرر الوجيز، تحقيق وتعليق : الرحالة الفاروق، وآخرين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م : ١ / ٢٩١ .

٢- إنه محال على (التعمير)[١] الذي دلَّ عليه قبله الفعل (يعمَّر)؛ فتكون إحالة داخلية قبلية . يقول الزجاج " ويجوز أن يكون الضمير كناية عما جرى ذكره من طول العمر؛ فيكون : وما تعميره بمزحزحه من العذاب "[٢]، وعلى هذا الوجه يكون (أن يعمر) بدل من المصدر (تعميره)[٣] .

٣- إنه ضمير الشأن، وتكون الإحالة إذًا داخلية بعدية؛ إذ إن ضمير الشأن فسرته الجملة بعده؛ فيكون المعنى : الأمر والحديث ما التعمير بمزحزحه من العذاب [٤].

وقد بيَّن (مكي) أنَّ هذا الرأي هو رأي الكوفيين، واعترض عليه بقوله: "وأجاز الكوفيون أن يكون هو مجهولًا مبتدأ بمعنى الحديث والأمر، وما بعده ابتداء وخبر، في موضع خبر (هو)، ودخول الباء في (بمزحزحه) تمنع من هذا التأويل؛ لأن المجهول لا يفسر إلا بالجمل السالمة من حروف الخفض"[٥]، التي يكون " مصرح بجزأيها "[٦] .

٤- أجاز الزمخشري أن يكون(هو) ضميرًا مبهمًا، وأن يعمر موضحه"[٧]، وتكون الإحالة إذًا داخلية بعدية، ويكون (أن يعمر) بدلًا منه، وأوضح أبو حيان أن كون البدل يفسر الضمير موضع خلاف بين النحاة[٨] .

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء : ١ / ١٧٨، الكشاف : ١ / ١٦٨.

(٢) معاني القرآن للفراء : ١ / ١٧٨، وانظر البحر المحيط : ١ / ٤٥٤.

(٣) انظر: الكشاف : ١ / ١٦٨.

(٤) نسب هذا الرأي لأبي علي الفارسي كلٌّ من ابن عطية، انظر: المحرر الوجيز : ١ / ٢٩١، وأبو حيان : ١ / ٤٥٤ .

(٥) مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٠٥، وانظر: البحر المحيط : ١ / ٤٥٤.

(٦) البحر المحيط : ١ / ٤٥٥.

(٧) الكشاف : ١ / ١٦٨، البحر المحيط : ١ / ٤٥٤.

(٨) انظر: البحر المحيط : ٤٥٤.

٥- إنه عماد، نقله ابن عطية عن الطبري[١]، وهو كما ذكرنا من قبل مذهب الكوفيين وقد خطأهم فيه أبو جعفر النحاس؛ إذ التقدير عندهم : وما تعميره هو بمزحزحه؛ فلما تقدم الخبر ومعه ضمير الفصل على المبتدأ، صار : وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر، أي : تعميره[٢] .

* قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٣] .

اُختلِف في المحال عليه الضمير المستتر المرفوع (هي) في " وإن كانت " على أوجه :

١- إنه محال على (القبلة) [٤]، وهي بذلك إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها "؛ حيث إنها الأقرب إلى الضمير، يقول الزجاج : " يعني قبلة بيت المقدس، أي وإن كان اتباعها لكبيرة. والمعنى: إنه كبير على غير المخلصين، فأما من أخلص فليست بكبيرة "[٥]. ويدل

(١) انظر: المحرر الوجيز : ١ / ٢٩١.

(٢) انظر: البحر المحيط : ١ / ٤٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآيتان (١٤٢، ١٤٣).

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش : ١/ ٣٢٤، معاني القرآن للزجاج : ١ / ٢٢٠، الكشاف : ١ / ٢٠٠، المحرر الوجيز : ١ / ٣٦٩، البحر المحيط : ١ / ٦٠٨.

(٥) معاني القرآن : ١ / ٢٢٠.

عليه قوله تعالى بعده: "وما كان الله ليضيع إيمانكم" أي : صلاتكم نحو بيت المقدس.

٢- إنه محال على (التولية)[١]، إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى : "ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " فالمعنى كما يقول(مكي) : " أي، وإن كانت التولية نحو المسجد الحرام لكبيرة "[٢]، أو كما يقول أبو حيان : "اسم كانت مضمر يعود على التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة "[٣] .

٣- إنه محال على المصدر الدال عليه قوله تعالى : " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها " إحالة داخلية قبلية . يقول الزمخشري : " والضمير في (كانت) لما دلَّ عليه قوله : " وماجعلنا القبلة الي كنت عليها " من الردة أو التحويلة أو الجعلة " [٤] . وهذا الوجه ربما يكون هو الوجه السابق، وإنما اختلف المحال عليه .

٤- إنه محال على (الصلاة) [٥] إحالة داخلية بعدية على قوله تعالى :

" وما كان الله ليضيع إيمانكم "؛ حيث ورد أنها نزلت حين سئل النبي عن صلاة من مات قبل تحويل القبلة، " وكنَّى بالإيمان عن الصلاة لما كانت صادرة عنه، وهي من شعبه العظيمة "[٦] .

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ١١٣، البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق: د / طه عبد الحميد، مراجعة د / مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠ م : ١ / ١٢٧، البحر المحيط : ١ / ٦٠٨

(٢) مشكل إعراب القرآن : ١ / ١١٣، وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٢٧.

(٣) البحر المحيط : ١ / ٦٠٨.

(٤) الكشاف : ١ / ٢٠٠.

(٥) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٢٧، المحرر الوجيز : ١ /٣٧١، البحر المحيط : ١ / ٦٠٨.

(٦) البحر المحيط : ١ / ٦٠٩.

ويرى الباحث أن تعدد المحال عليه أثرى المعنى وعدَّد طرقه، وإن كان يرجح الوجه الأول (القبلة)؛ إذ هي الأقرب إلى الضمير، وهو ما عليه المعنى الظاهر؛ فالآية صُدِّرت بتساؤل السفهاء عن تولي المسلمين عن القبلة التي كانوا عليها حينها، وهي بيت المقدس كما أوضحنا.

* قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] .

اُختلِف في المحال على الضمير المنفصل المرفوع (هو) على وجهين :

١- إنه محال على قوله (كل) المذكور قبله[٢]؛ من باب الإحالة الداخلية القبلية، إذ هو الأقرب إلى الضمير . " والمعنى هو موليها وجهه، وكل أهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك القبلة "[٣]، أو " هو موليها نفسه "[٤] . ويؤيد هذا الوجه قراءة من قرأ " هو مولاها "[٥] .

---

(١) سورة البقرة، الآيات (١٤٥ : ١٤٨) .

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج : ١ / ٢٢٥، مشكل إعراب القرآن : ١ / ١١٣، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٢٧، البحر المحيط : ١ / ٦٢٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج : ١ / ٢٢٥.

(٤) مشكل إعراب القرآن : ١ / ١١٣.

(٥) هي قراءة ابن عامر، وابن عباس، وغيرهم . انظر: معجم القراءات القرآنية، د/ أحمد مختار عمر، د / عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م : ١ / ١٢٦.

وعليه فإن المفعول الثاني لاسم الفاعل (موليها) يكون تقديره : وجهه أو نفسه .

٢ – إنه محال على (الله) تعالى[١]، والمعنى " لكلٍّ وجهة الله موليها إياه "[٢]، " أي شارعها ومكلفهم بها "[٣] .

ويرى الباحث أن الإحالة بذلك يُحتمل أن تكون إما إحالة داخلية قبلية على (ربك) في الآية قبلها؛ فالأمر بتولي أيٍّ من القبلتين (البيت الحرام أو بيت المقدس) حق من الله تعالى يجب اتباعه لأنه هو الذي يولي القبلة؛ فـ " الله يولي أهل كل ملة القبلة التي يريد "[٤]. وإما إحالة داخلية بعدية على (الله) الوارد ذكره بعدها في قوله تعالى : ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ فالله هو الذي يوليك القبلة، وهو نفسه القادر على بعثكم وحسابكم على ما أمركم به .

ويرى الباحث أن كلا الوجهين يدل عليه المعنى، ويقبله سياق الآيات .

* قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٥] .

اُختلِف في المحال عليه الضمير المنفصل المرفوع الثاني (هو) على وجهين :

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١ / ٢٢٥، مشكل إعراب القرآن: ١ / ١١٣، الكشاف: ١/ ٢٠٥، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٢٨.

(٢) الكشاف : ١ / ٢٠٥.

(٣) البحر المحيط : ١ / ٦٢٥.

(٤) الزجاج : ١ / ٢٢٥ .

(٥) سورة الحج، من الآية (٧٨).

١- إنه محال على (الله)[١] عز وجل في الاسم الظاهر (الله)، والضمير الأول (هو)، إحالة داخلية قبلية . " والمعنى : الله سماكم المسلمين من قبل أن ينزل القرآن "[٢]، وعلى هذا تكون جملة (هو اجتباكم .....) وجملة (هو سماكم ...) في محل نصب حال، وجملة (ملة أبيكم إبراهيم) جملة اعتراضية، ويكون (الله) هو أقرب مذكور إلى الضمير .

٢- إنه محال على (إبراهيم) عليه السلام[٣]، إحالة داخلية قبلية، وهو ما رجحه أبو حيان بقوله : " والظاهر أن الضمير في (هو سماكم) عائد على (إبراهيم)، وهو أقرب مذكور "[٤]؛ وعليه يجوز الوقف على (حرج)، وتكون جملة (ملة أبيكم إبراهيم) جملة استئنافية، و(ملة) منصوبة بفعل مقدر تقديره (اتبعوا) .

وقد عارض أبو جعفر النحاس هذا الوجه بقوله : " هذا القول مخالف لقول العلماء والأئمة "[٥]، مستندًا في ذلك إلى رأي ابن عباس : إن الضمير محال على (الله) . والملاحظ على أبي جعفر النحاس، أنه يرى هذا الرأي من الناحية التفسيرية المنقولة؛ لا الناحية النحوية واللغوية التي تجيز أن يكون الضمير محال على (إبراهيم) عليه السلام؛ بالإضافة إلى التفسير؛ حيث ذكر القرطبي

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٤٤٠، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٠٦، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٤٩٥، الزمخشري : ٣ / ١٧٣، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٧٩، المحرر الوجيز : ٦ / ٢٧٦ .

(٢) معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٤٤٠.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٤٤٠، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٤٩٥، الزمخشري : ٣ / ١٧٣، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٧٩، المحرر الوجيز : ٦ / ٢٧٦، البحر المحيط : ٦ / ٤٧٥.

(٤) البحر المحيط : ٦ / ٤٧٥.

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٠٦.

عن (ابن زيد والحسن)، أن الضمير راجع إلى (إبراهيم) عليه السلام، "والمعنى هو سماكم المسلمين من قبل النبي (ص) "[1]

ويرى الباحث أن كلا الرأيين صواب، وأن المعنى يحتملهما معًا .

٦- قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [2]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المرفوع (واو الجماعة) في (واستفتحوا) على أوجه :

١- إنه محال على (المرسلين – الأنبياء)[3]، إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى: (لرسلهم)، والضمائر العائدة عليهم (لنخرجنكم – إليهم – ربهم – لنهلكن – لنسكننكم) . قال ابن عطية : " والاستفتاح : طلب الحكم، والفتَّاح : الحاكم . والمعنى : إن الرسل استفتحوا، أي : سألوا الله تعالى إنفاذ الحكم بنصرهم وتعذيب الكفرة "[4]، وذكر أبو حيان أن المعنى " أي : استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى : ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ﴾[5] .... واستنصار الرسل في القرآن كثير كقول نوح : ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء : محمد رضوان عرقسوسي، ماهر حبُّوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م : ١٤ / ٤٥٣ .

(٢) سورة إبراهيم، الآيات (١٣ : ١٥).

(٣) انظر: معاني لقرآن للزجاج : ٣ / ١٥٦، الكشاف : ٢ / ٥٤٥، المحرر الوجيز: ٥ / ٢٣٣، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧ .

(٤) المحرر الوجيز : ٥ / ٢٣٣، وانظر البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧.

(٥) سورة الأنفال، من الآية (١٩).

﴿وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِين﴾[1]، وقول لوط : ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُون﴾[2] "[3] .

ويقوي هذا الوجه ما جاء في قراءة " واستفتِحوا " بكسر التاء[4] أمرًا للرسل، أي : اطلبوا النصر وسلوه من ربكم؛ فهو معطوف على (لنهلكن)، أي : أوحى إليهم ربهم وقال لهم: لنهلكن، وقال لهم : استفتحوا .[5]

٢- إنه محال على (الكفرة)[6] ، إحالة داخلية قبلية على قوله : "وقال الذين كفروا "، والمعنى " بل استفتح الكفار على نحو قول قريش : ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾[7]، وعلى نحو قول أبي جهل : اللهم أقطعُنا للرحم، وآتَانا بما لا يعرف؛ فأَحِنْه الغداة "[8]، " وكأنهم لما قوي تكذيبهم وأذاهم، ولم يُعاجَلُوا بالعقوبة ظنوا أن ما جاءوا به باطل فاستفتحوا على سبيل التهكم والاستهزاء، كقول قوم نوح : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾[9]، وقوم شعيب : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء﴾[10] "[11] .

---

(١) سورة الشعراء، من الآية (١١٨).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٦٩).

(٣) البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧.

(٤) قرأ بها ابن عباس، ومجاهد، وابن محيصن، انظر معجم القراءات : ٣ / ٢٣٢.

(٥) انظر: الكشاف : ٢ / ٢٤٥، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧ .

(٦) انظر: الكشاف : ٢ / ٥٤٥، المحرر الوجيز : ٥، ٢٣٣، البحر المحيط: ٥ / ٥٢٧.

(٧) سورة (ص)، من الآية (١٦) .

(٨) المحرر الوجيز : ٥ / ٢٣٣، وانظر البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧.

(٩) سورة الأعراف، من الآية (٧٠).

(١٠) سورة الشعراء، من الآية (١٧٨) .

(١١) البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧ .

٣- إنه محال على كلا الفريقين (المرسلين والكفار) معًا[١]، إحالة داخلية قبلية؛ " لأنهم كانوا كلهم سألوا أن ينصر المحق، ويبطل المبطل "[٢] .

ويرى الباحث أن الوجه الأول بإحالة الضمير على المرسلين مقدم على الآراء الأخرى؛ نظرًا لأنه الأقرب إلى الضمير؛ بالإضافة إلى أن مدار الحديث هو خطاب الكفار للمرسلين في صدر الآيات، ثم كان الخطاب لهم من الله ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾؛ فكان قوله تعالى : (واستفتحوا) نتيجة، وطلبًا منهم تنفيذ وعد الله لهم بنصرتهم، وخذلان الكافرين .

* *

(١) انظر: البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧ .

(٢) البحر المحيط : ٥ / ٥٢٧.

المبحث الثاني

ضمير الغائب المنصوب

سنذكر في هذا المبحث نماذج لضمير الغائب المنصوب، وبيان اختلاف الإحالة عليه، من ذلك :

* قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في (فجعلناها)، على أوجه :

١- إنه محال على (الأمة التي مسخت)[٢]، إحالة داخلية قبلية في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ؛ فدلت الضمائر (واو الجماعة) في (اعتدوا، وكونوا)، وضمير الغيبة في (لهم) على الأمة الممسوخة . والمعنى : فجعلنا هذه الأمة التي مسخت عبرة .

٢- إنه محال على (المسخة التي مسخوها)[٣]، إحالة داخلية قبلية، دلَّ عليها الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾أي أن "المسخة التي مسخوها جُعلت نكالا لما مضى من الذنوب، ولما يُعمل بعدها"[٤]،

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (٦٥، ٦٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج : ١ / ١٤٩، المحرر الوجيز : ١ / ٢٤٤، البحر المحيط : ١ / ٣٥٩ .

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء : ١ / ٤٣، معاني القرآن للزجاج : ١ / ١٤٩، مشكل إعراب القرآن : ١ / ٩٧، الكشاف : ١ / ١٤٧، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٩١، المحرر الوجيز : ١ / ٢٤٤، البحر المحيط : ١ / ٣٥٩.

(٤) معاني القرآن : ١ / ٤٣، وانظر: معاني القرآن للزجاج : ١ / ١٤٩، والكشاف للزمخشري : ١ / ١٤٧.

والمقصود بها الهيئة التي أصبحوا عليها . وأوضح (مكي) العلة في كون الضمير يعود إلى (المسخة) أن الخطاب دلّ عليه[١] .

٣- إنه محال على (القردة)[٢]، إحالة داخلية قبلية، أي: فجعلنا عقوبتهم بتحولهم قردة نكالا وعبرة .

٤- إنه محال على (العقوبة) [٣]، إحالة داخلية قبلية على العقوبة نزلت بهم "؛ حيث " دلَّ عليها الكلام "[٤]، ويقصد بها هنا : المسخ إلى القردة، والخسوء؛ فهي أشمل وأعم من إحالة الضمير على (القردة) فقط .

ويرجح الباحث هذا الرأي، أي : الإحالة على العقوبة؛ إذ إنه جمع بين الأمرين اللَّذَين لحقا بهؤلاء القوم جزاءَ مخالفتهم أمر الله عزَّ وجلَّ . كما أنه هو أقرب مرجع إلى الضمير، وهو ما أشار إليه (الزمخشري) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ بقوله : " أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء . وهو الصغار والطرد" [٥]، وربما هو ما قصده أبو حيان بعد ما عدَّد ما يحال عليه الضمير؛ إذ يقول: " والذي يظهر أن الضمير عائد على المصدر المفهوم من (كونوا)، أي : فجعلنا كينونتهم قردة خاسئين نكالًا "[٦] .

* قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[٧]

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٩٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش : ١ / ٢٧٨، ومشكل إعراب القرآن : ١ / ٩٧، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٩١.

(٣) معاني القرآن للأخفش : ١ / ٢٧٨، وانظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٩٧ .

(٤) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٩٧.

(٥) الكشاف : ١ / ١٤٧ .

(٦) البحر المحيط : ١ / ٣٥٩ .

(٧) سورة البقرة، من الآية (٢٥٨).

اُختلِف في المحال على الضمير المتصل المنصوب في (آتاه) على وجهين :

١- إنه محال على الكافر (نمروذ)[١] الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه، إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى: " ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم " . فـ " (أن آتاه) متعلق بـ(حاج)، والمعنى حاج لأن آتاه الله الملك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره، وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك "[٢]، ودلل (الزجاج) على صحة هذا الرأي بقوله : " والدليل على أن الكافر هو الذي كان مُلِّكَ أنه قال : ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وأنه دعا برجلين فقتل أحدهما، وأطلق الآخر . فلولا أنه كان ملكًا، وإبراهيمُ عليه السلام غيرَ ملك لم يتهيأ له أن يقتل وإبراهيم الملك، وهو النبي عليه السلام "[٣] .

٢- إنه محال على إبراهيم عليه السلام[٤] إحالة داخلية قبلية، على اعتبار أن إبراهيم أقرب إلى الضمير. واحتجوا بأن " قالوا : الله عزَّ وجلَّ لا يُملِّك الكفار "[٥]، و" لأن الله تعالى قال : لا ينال عهدي الظالمين . والمُلك عهد منه "[٦] . وردَّ عليهم أصحاب الوجه الأول بما ذكرناه آنفًا، وبأن الله يؤتي الملك من يشاء، وأن " إيتاء الكافر الملك ضرب من امتحانه الذي يمتحن

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج : ١ / ٣٤١، الكشاف للزمخشري : ١ / ٣٠٥، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٧٠، المحرر الوجيز : ٢ / ٣٦، البحر المحيط : ٢ / ٤٦١.

(٢) الكشاف : ١ : ٣٠٥.

(٣) معاني القرآن : ١ / ٣٤١.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٤١/١، البيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ١٦٩، البحر المحيط : ٢ / ٤٦٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج : ١ / ٣٤١.

(٦) البحر المحيط : ٢ / ٤٦٢.

الله به خلقه "[1] ، كما أنه لا تعارض بين إيتاء الله الملك للكافر أو إبراهيم عليه السلام؛ " لأن إثبات الملك لإبراهيم لا يتنافى مع ملك الكافر، وأنهما ملكان، أحدهما بفضل الشرف في الدين كالنبوة والإمامة . والآخر بفضل المال والشجاعة والقهر والغلبة والاتباع، وحصول الملك للكافر بهذا المعنى يمكن، بل هو واقع مشاهد "[2] .

واعترض ابن عطية على هذا الوجه بقوله : "هذا تحامل من التأويل" [3]، ونسب أبو حيان هذا الرأي للمعتزلة "[4].

ويرى الباحث أن الرأي الأول هو الأنسب للمعنى والسياق؛ إذ إن مدار الحديث في الآية هو الكافر الذي صُدِّرت به الآية؛ فكان هو مضرب المثل والعظة بما فعله مع نبي الله إبراهيم، ومحاجته في الله تبارك وتعالى .

* قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير﴾[5]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في (تفعلوه) على أوجه :

---

(١) معاني القرآن للزجاج : ١ / ٣٤١.

(٢) البحر المحيط : ٢ / ٤٦٢.

(٣) المحرر الوجيز : ٢ / ٣٦.

(٤) البحر المحيط : ٢ / ٤٦٢ .

(٥) سورة الأنفال الآيتان (٧٢، ٧٣) .

١- إنه محال على (الميثاق)[١]، إحالة داخلية قبلية؛ إذ هو أقرب مذكور للضمير . أي : إلا تحافظوا على عهدكم مع الكفار، حتى لو استنصركم المسلمون تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، يقول ابن عطية : "وهذا إن لم يفعل فهو الفتنة نفسها "[٢] وبهذا تكون جملة " وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" اعتراضية للبيان واالتوضيح في مقابل ما جاء في الآية من أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، واحتراس من أن يظن البعض أن فعل هذا الأمر مع المشركين من ترك نصرة المسلمين، هو موالاة للمشركين على حساب المسلمين؛ فأوضحت الآية أن الكفار بعضهم أولياء بعض .

٢- إنه محال على النصر أو المناصرة بين المسلمين[٣]؛ لأن المسلمين بعضهم أولياء بعض، إحالة داخلية قبلية في قوله تعالى: " فعليكم النصر "، أي : إلا تنصروا المسلمين في مواجهة الكفار تكن فتنة في الأرض؛ إذ هو يرسي مبدأ عامًا، هو أن المسلمين بعضهم أولياء بعض، ينصر بعضهم بعضًا؛ غير أنه مقيد بالقيد " إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ " .

٣- إنه محال على الإرث والتوارث[٤]، إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى : " ولايتهم "، يقول الزمخشري: " أي : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين، وتولي بعضهم بعضًا حتى في التوارث تفضيلًا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار، ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة " [٥].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٩، البحر المحيط : ٤ / ٤٦٤.
(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٩.
(٣) انظر البيان في غريب إعراب القرآن :١ / ٣٩٢، المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٩، البحر المحيط : ٤ / ٦٦٤.
(٤) انظر: الكشاف : ٢ /٢٤٠، البيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ٣٩٢، المحرر الوجيز: ٤، ٢٤٨، البحر المحيط : ٤ / ٦٦٤.
(٥) الكشاف : ٢ / ٢٤٠.

ويرى الباحث ما رآه كلٌّ من ابن عطية، وأبو حيان من أن الضمير يعود مجملًا على جميع ما ذكر[1]، إذ كلها تخدم العلاقة بين المسلمين فيما بينهم، وتقوي عرى المحبة والمودة، كما أن في عدم فعلها أو تركها بلاء عظيم، ومضرة تلحق بالمسلمين .

* قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[2]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في قوله : " إنه " على أوجه :

١- إنه محال على (ونادى نوح ربه)[3] أو(سؤال نوح ربه)، والمعنى كما يقول (الفراء) : " سؤالك إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح "[4] ، ورفض (الزمخشري) هذا الرأي دون أن يذكر السبب فقال: " وقيل الضمير لنداء نوح، أي إن نداءك هذا عمل غير صالح، وليس بذاك "[5] وهو بذلك يحتمل نوعين من الإحالة، إما إحالة داخلية قبلية دلَّ عليها قوله تعالى : ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾؛ فيفهم من مناشدة نوح ربه أنه يسأله العفو والصفح والغفران لابنه الكافر حيث إنه من أهله فأخبره الله أن هذا السؤال عمل غير صالح . وإما أن

---

(١) انظر المحرر الوجيز : ٤ / ٢٤٩، البحر المحيط : ٤ / ٦٦٤.

(٢) سورة هود، الآية (٤٥) وصدر الآية (٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٧، مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٦٦، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٦، المحرر الوجيز : ٤ / ٥٨٨، البحر المحيط : ٥ / ٢٩٩ .

(٤) معاني القرآن : ٢ / ١٧.

(٥) الكشاف : ٢ / ٣٩٩.

يكون إحالة داخلية بعدية لدلالة قوله تعالى بعدها : ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾؛ فيكون سؤال الإنسان عما ليس له به علم عملٌ غير صالح . وقد أشار (مكي) إلى كلا المعنيين بقوله : " إن سؤالك إياي أن أنجِّي كافرًا عملٌ غير صالح، وقيل معناه : إن سؤالك ما ليس لك به علم عملٌ غير صالح . فاللفظ على هذين التقديرين من قول الله لنوح عليه السلام "(١).

وقال ابن عطية : "يقوي هذا التأويل أن في مصحف ابن مسعود: " إنه عملٌ غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم "(٢) .

٢- إنه محال على (ابن نوح)(٣)، إحالة داخلية قبلية على ابن نوح في قوله : ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾؛ فكان هو الأقرب إلى الضمير. وجعل (الزجاج) تأويله " إنه (أي ابنه) ذو عملٍ غير صالح "(٤)؛ وذلك لأنه كفر ولم يؤمن بالله . وبيَّن أبو حيان أن قراءة : "إنه عمِل غير صالح "(٥) تقوي هذا الرأي؛ إذ إن الضمير فيها لا ينصرف إلا إلى ابن نوح .(٦)

٣ – إنه محال على كلام نوح لابنه (٧) في قوله تعالى : ﴿ يَابُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء﴾(٨)، إحالة داخلية قبلية .

---

(١) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٦٦.
(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ٥٨٨.
(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٥٥، مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٦٦، الكشاف : ٢ / ٣٩٩، المحرر الوجيز : ٤ / ٥٨٦، البحر المحيط : ٥ / ٢٩٩.
(٤) معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٥٥، وانظر مشكل إعراب القرآن : ١ /٣٦٦.
(٥) هي قراءة : الكسائي، وعلي، وأنس، وابن عباس، وغيرهم . انظر: معجم القراءات : ٣ / ١١٤ .
(٦) البحر المحيط : ٥ / ٢٩٩.
(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٦٦، المحرر الوجيز : ٤ / ٥٨٦ .
(٨) سورة هود، من الآيتين : ٤٢، ٤٣ .

يقول (مكي) : " وقيل هو من قول (نوح) عليه السلام لابنه؛ وذلك أنه قال له: اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، إن كونك مع الكافرين عمل غير صالح . فيكون هذا من قول نوح لابنه وصلا بما قبله "[1]، يؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن عطية من أن قوله تعالى : ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ " جملة معطوفة على التي قبلها دون ترتيب، وذلك أن هذه القصة كانت في أول ما ركب نوح في السفينة "[2] ثم وصف هذا الوجه بأنه أليق من غيره .

ويرى الباحث أن هذا الرأي بعيد لطول الفاصل بين الكلامين بالحوار الذي دار بين نوح وابنه، واستواء السفينة على الجودي، ثم مناشدة نوح ربه في ابنه.

ويرى الباحث أن الوجهين الأولين هما الأقرب إلى المعنى نظرًا لأنهما أقرب مذكورين إلى الضمير، كما أنهما لا يحتملان التأويل الذي ذكره ابن عطية من أن عطف الجمل جاء على غير ترتيب؛ لأنه يحتمل أن يسأل نوح ربه العفو عن ابنه بعد نجاة السفينة واستوائها، وهو نداء بدافع الأبوة لا بدافع النبوة، يظهر مدى شفقة نوح على ابنه حتى بعد موته .

ثم إنه إذا افترضنا صحة الوجه الأخير فإنه يجعل نداء نوح ربه بلا إجابة. ثم ماذا عن الفاء الفصيحة في قوله تعالى : ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فإنه من كلام الله لنوح عليه السلام؛ فإن ما بعدها جواب لشرط محذوف، وليكن تقديره : إن سألتني فلا تسألن ما ليس لك به علم.

* قوله تعالى :﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[3]

---

(١) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٦٦.

(٢) المحرر الوجيز : ٤ / ٥٨٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية (٣٣) .

اختلف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في (إنه) على أوجه :

١- إنه محال على (الولي)[١] إحالة داخلية قبلية؛ إذ هو أقرب مذكور من الضمير . والمعنى : إن وليه كان منصورًا . وقد جعل أبو جعفر النحاس هذا الوجه أولى الأوجه المذكورة في المحال عليه الضمير[٢]، وهو ما أرجعه أبو حيان إلى " تناسق الضمائر "[٣] بين (وليه)، و(إنه) والضمير المستتر في (يسرف) . وقد بيَّن الزمخشري معنى نصر الولي بقوله : "يعني حسبه أن الله قد نصره، بأن أوجب له القصاص؛ فلا يستزد على ذلك. وبأن الله قد نصره بمعونة السلطان، وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق، فلا يبغ ما وراء حقه"[٤].

٢- إنه محال على القتيل أو المقتول[٥]، إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى : "ومن قتل مظلومًا " . " أي : إن القتيل إذا قتل بغير حق؛ فهو منصور في الدنيا والآخرة " [٦]، وعدَّ أبو جعفر النحاس هذا الوجه حسنًا، معللا ذلك بقوله : "وهذا قول حسن؛ لأن المقتول قد نُصر في الدنيا لمَّا أُمر بقتل قاتله، وفي الآخرة بأجزل الثواب، وتعذيب قاتله"[٧]، كما عدَّ ابن عطية هذا الوجه أرجح الأقوال معللًا ذلك بقوله : " لأن المظلوم ولفظة النصر تقابل أبدًا

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٢٣، إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٢٣، مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٣١، الكشاف : ٢ / ٦٦٥ .

(٢) انظر: إعراب القرآن : ٢ / ٤٢٣ .

(٣) البحر المحيط : ٦ / ٤٢.

(٤) الكشاف : ٢ / ٦٦٥.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٢٣، معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٢٣٨، إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٢٣، الكشاف : ٢ / ٢٦٥، المحرر الوجيز : ٥ / ٤٧٣ .

(٦) معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٢٣٨.

(٧) إعراب القرآن : ٢ / ٤٢٣.

الظلم، وكقوله (ص) : " ونصر المظلوم وإبرار القسم "، **وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ:** " انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا "[١] .

٣- إنه محال على دم المقتول لأنه ظلم[٢]، ويرى الباحث أنه مرادف للإحالة على المقتول، دلَّ عليها قوله تعالى : " ومن قتل مظلومًا "، وهو ما عبَّر عنه الفراء بإحالة الضمير على (القتل)، وقال : " لأنه [أي القتل] فِعلٌ فيجري مجرى الدم "[٣]، وعليه فإنه يقال فيه ما قيل في الإحالة على (دم المقتول) .

٤- إنه محال على القاتل[٤] إحالة داخلية قبلية، دلَّ عليها الفعل المبني للمجهول: "ومن قُتِل"، يقول مكي : " وقال أبوعبيد : هي للقاتل، ومعناه : إن القاتل إذا أقيد منه في الدنيا فقتل فهو منصور " [٥]، ثم عقب عليه بقوله : " وفيه بُعد في التأويل "، ووصف أبو جفعر النحاس هذا الوجه بأنه أبعد الأقوال وأشدها تعسفًا[٦]، وعلق عليه أبو حيان بقوله : " وهذا ضعيف بعيد القصد"[٧]، وهو ما يؤيده الباحث؛ إذ إن الآيات تتحدث عن النهي عن قتل النفس ظلمًا، وأخذ حق المقتول، وكيفية نصرته لا نصرة القاتل مقترف كبيرة القتل .

---

(١) المحرر الوجيز : ٥ / ٤٧٣ .

(٢) ذكر هذا كلٌّ من الفراء، معاني القرآن : ٢ / ١٢٣، مكي، مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٣١.

(٣) معاني القرآن : ٢ / ١٢٣، وانظر مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٣١.

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٣١ .

(٥) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٣١، وانظر إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٢٣ .

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٤٢٣.

(٧) البحر المحيط : ٦ / ٤٢ .

٥- إنه محال على " الذي يقتله الولي بغير حق، ويسرف في قتله؛ فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف "[١]، إحالة داخلية قبلية، دلَّ عليها " فلا يسرف في القتل "، ووصف أبو حيان هذا القول بأنه بعيد جدًا [٢] .

ويرى الباحث أن الأوجه الثلاثة الأولى على الترتيب، هي الأقرب إلى المعنى، والسياق؛ إذ إن الآية وردت في سياق بعض النواهي التي ينهانا الله عنها، ومنها قتل النفس بغير حق ظلمًا، وكان المجني عليه (المقتول) هو محور الآية؛ فصُدِّرت به في قوله تعالى : " ومن قتل مظلومًا" بصيغة المبني للمفعول، دون الإشارة إلى القاتل؛ إذ إن ذكره ليس مؤثرًا في المعنى . وعليه فإن الأولى أن تبين الآية مصير من فُعِل به هذا الأمر، وهو القتل ظلمًا فكان القصاص للمقتول، الذي عبَّر عنه جواب الشرط المؤكد بـ (قد) في قوله تعالى : " فقد جعلنا لوليه سلطانًا ....؛ ثم يعقبه النهي عن المجاوزة في استخدام الحق بألا يسرف في القتل .

* قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ** ﴾[٣]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في (فرأوه) على أوجه:

---

(١) الكشاف : ٢ / ٦٦٥.

(٢) انظر: البحر المحيط : ٦ / ٤٢ .

(٣) سورة الروم، الآيات (٤٨ : ٥١).

١- إنه محال على (الزرع) أو النبات[١]، إحالة داخلية قبلية دلَّ عليها سياق الكلام، أو دلّ عليها قوله تعالى : " آثار رحمة الله "؛ " لأن الرحمة هي الغيث، وأثرها هو النبات "[٢] . يقول الفراء : " فرأوه مصفرًا : يخافون هلاكه بعد اخضراره. يعني الزرع "[٣]، ويقول ابن عطية : " ثم أخبر الله عن حال تقلب ابن آدم في أنه بعد الاستبشار بالمطر إذا بعث الله ريحًا فاصفر بها النبات ظل يكفر قلقًا، وقلة توكل وتسليم لله عز وجلّ "[٤] .

٢- إنه محال على (السحاب)[٥]، إحالة داخلية قبلية على السحاب الذي يرسله الله تعالى فترى الودق يخرج من خلاله؛ فإن هذا " السحاب إذا اصفرَّ لم يمطر "[٦] .

٣- إنه محال على (الريح)[٧]، إحالة داخلية قبلية؛ إذ هو أقرب مذكور إلى الضمير، يقول (مكي) : " وذكِّرت الريح؛ لأن الهاء للمرسل منها، وقيل ذكرت إذ لا ذكر لها فتأنيثها غير حقيقي "[٨] . وضعف ابن عطية، وتبعه في ذلك أبو حيان الوجهين الأخيرين دون ذكر وجه التضعيف .

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٢٦، مشكل إعراب القرآن: ٢ / ٥٦٢، الكشاف : ٣ / ٤٨٥، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٢٥٢، المحرر الوجيز : ٧ / ٣٥، البحر المحيط : ٧ / ٢٣٣.

(٢) البحر المحيط : ٧ / ٢٣٣.

(٣) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٣٢٦.

(٤) المحرر الوجيز : ٧ / ٣٥.

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن: ٥٦٢/٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٢٥٢، المحرر الوجيز : ٧ / ٣٥، البحر المحيط : ٧ / ٢٣٣.

(٦) البحر المحيط : ٧ / ٢٣٣.

(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٢٥٢، المحرر الوجيز : ٧ / ٣٥، البحر المحيط : ٧ / ٢٣٣.

(٨) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٢.

ويرجح الباحث الرأي الأول، بإحالة الضمير على الزرع أو النبات؛ إذ إن محور الآيات هو بيان فضل الله على عباده؛ إذ يرسل الرياح التي تسوق السحاب فيسقط المطر الذي يبعث الأمل في النفوس، ويحيي الأرض بعد موتها، وينبت الزرع؛ ثم تقلُّب حالهم وضعف إيمانهم؛ إذا أُرسلت ريح أخرى فيصفر هذا الزرع؛ فإنهم يعودون كفارًا .

* قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١).

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في (يتخذها)، على أوجه:

١- إنه محال على (السبيل)(٢)، إحالة داخلية قبلية؛ إذ هو الأقرب إلى الضمير . وعلل الفراء التأنيث بقوله : " لأن السبيل قد تؤنث، قال [تعالى]: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ﴾(٣)، وفي قراءة أبي : " وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوها سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوها سبيلا"(٤) "(٥)، والإحالة على (السبيل) أعم وأشمل في المعنى؛ حيث يدخل تحته كل ما أمر الله به، وكل ما فيه

(١) سورة لقمان، الآية (٦) .

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٢٧، معاني القرآن للزجاج: ٤ / ١٩٤، الكشاف : ٣ / ٤٩١، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٨٢، الكشاف : ٣ / ٤٩١، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٤، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٢٥٣، المحرر الوجيز: ٧ / ٤٢، البحر المحيط : ٧ / ٢٤٢.

(٣) سورة يوسف، من الآية (١٠٨) .

(٤) سورة الأعراف، من الآية (١٤٦).

(٥) معاني القرآن للفراء : ٢ / ٣٢٧، وقراءة الجمهور (يتخذوه) بالتذكير، انظر معجم القراءات القرآنية : ٢ / ٤٠٣.

طاعة لله عز وجل، بالإضافة إلى أنه يناسب (يتخذها) بالنصب عطفًا على (ليضل) .

٢- إنه محال على (الحديث)[١]، إحالة داخلية قبلية، يقول (مكي) : " الهاء في (يتخذها) تعود على الحديث؛ لأنه بمعنى الأحاديث"[٢] لأنه اسم جنس، وعليه فإن الضمير جاء مؤنثًا[٣]؛ ويكون المعنى : إنه يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل متخذًا لهو الحديث وسيلة للاستهزاء بسبيل الله ودينه .

ولعل الإحالة على (الحديث) أنسب على قراءة الرفع في (يتخذها)[٤]، وتتوافق معها؛ إذ إنها ستكون معطوفة على (يشتري) .

٣ - إنه محال على (الآيات)[٥] المذكورة في مفتتح السورة ﴿الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، إحالة داخلية قبلية . ويرى الباحث أن هذا الوجه بعيد؛ نظرًا لطول الفاصل بين الضمير والمحال عليه؛ فكلمة (آيات) في الآية الثانية من السورة، و(يتخذها) في الآية السادسة . أضف إلى ذلك أن كلمة (السبيل) أقرب مذكور إلى الضمير، وهو المقدم لدى النحويين في الإحالة، كما أن (السبيل) كما أوضحنا أعم وأشمل فيدخل فيها (آيات الله).

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن: ٥٦٤/٢، البيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٢٥٣، المحرر الوجيز : ٧ / ٤٢، البحر المحيط : ٧ / ٢٤٢.

(٢) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز : ٧ / ٤٢، البحر المحيط : ٧ / ٢٤٢.

(٤) هي قراءة : نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ابن عامر، وآخرون .انظر معجم القراءات القرآنية : ٥ / ٨٤ .

(٥) انظر: معاني القران للفراء : ٢ / ٣٢٧، معاني القرآن للزجاج : ٤ / ١٩٤، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٢٨٢، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٤، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٢٥٣، المحرر الوجيز : ٧ / ٤٢، البحر المحيط : ٧ / ٢٤٢.

* قوله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في (يرفعه)، على أوجه :

١- إنه محال على (الكلم)[2]، إحالة داخلية قبلية، أي : يرفع العملُ الصالحُ الكلمَ . يقول أبو جفعر النحاس: " (إليه يصعد الكلم الطيب)، تمَّ الكلام .... والمعنى : والعمل الصالح يرفع الكلمَ الطيب .... والعمل الصالح رفع بالابتداء، أو على إضمار فعل، فأما أن يكون مرفوعًا بمعنى ويرفعه العمل الصالح فخطأ؛ لأن الفاعل إذا كان قبل الفعل لم يرتفع بالفعل "[3] .

٢- إنه محال على (العمل)[4]، إحالة داخلية قبلية، واختلف في الفاعل فذهب بعضهم إلى أنه (الكلم)، والمعنى والعمل الصالح يرفعه الكلمُ الطيب[5]، " وهو قول : (لا إله إلا الله)؛ لأنه لا يُرفع عمل إلا بتوحيد"[6]، أو أن الفاعل هو الله، والمعنى والعمل الصالح يرفعه الله تعالى، أي يقبله، وجعل ابن

(١) سورة فاطر، من الآية (١٠) .

(٢) معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٦٥، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٦٤، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٩٤، المحرر الوجيز : ٧ / ٢٠٦، البحر المحيط : ٧ / ٤٠١.

(٣) إعراب القرآن النحاس : ٣ / ٣٦٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٦٥، إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٦٤، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٩٤، المحرر الوجيز : ٧ / ٢٠٦، البحر- المحيط : ٧ / ٤٠١ .

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٦٥، المحرر الوجيز : ٧ / ٢٠٦.

(٦) المحرر الوجيز : ٧/ ٢٠٦.

عطية هذا القول أرجح الأقوال[١] . وهذا الوجه يتوافق مع قراءة (العملَ الصالحَ) بالنصب[٢]، على إضمار فعل يفسره يرفعه .

٣- إنه محال على (العمل الصالح والكلم الطيب) معًا[٣]، وهو ما أجازه أبو حيان بقوله : " ويجوز عندي أن يكون (العمل) معطوفًا على (الكلم) الطيب، أي: يصعدان إلى الله، و(يرفعه) استئناف إخبار، أي : يرفعهما الله، ووحد الضمير لاشتراكهما في الصعود . والضمير قد يجري مجرى اسم الإشارة؛ فيكون لفظه مفردًا، والمراد به التثنية؛ فكأنه قيل : ليس صعودهما من ذاتهما، بل ذلك برفع الله إياها "[٤] .

ويرى الباحث أن هذه الأوجه جميعها يحتملها المعنى .

* قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [٥].

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المنصوب في (نبرأها) على أوجه :

١- إنه محال على (النفس)[٦]، إحالة داخلية قبلية، يقول الفراء :

" يعني في العلم الأول من قبل أن نبرأ تلك النفس، أي : نخلقها"[٧]، وجعل النحاس هذا الوجه أولى من غيره إذ (النفس) هي الأقرب إلى الضمير.

---

(١) المحرر الوجيز : ٧ / ٢٠٦.
(٢) هي قراءة : عيسى ابن عمر، وابن أبي عبلة. انظر: معجم القراءات القرآنية: ٥ /١٧٧.
(٣) انظر البحر المحيط : ٧ / ٤٠١.
(٤) البحر المحيط : ٧ / ٤٠١.
(٥) سورة الحديد، من الآية (٢٢).
(٦) انظر معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٣٦، إعراب القرآن للنحاس : ٤ / ٣٦٥، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٧١٩، الكشاف : ٤ / ٤٧٩، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢/ ٤٢٤، المحرر الوجيز : ٨ / ٢٣٧، البحر المحيط : ٨ / ٣١٧.
(٧) معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٣٦ .

٢- إنه محال على (الأرض)[١]، إحالة داخلية قبلية، أي : إلا في كتاب من قبل أن نخلق الأرض .

٣- إنه محال على (المصيبة)[٢]، إحالة داخلية قبلية، " أي : من قبل أن نخلقها [أي المصيبة]، فما وقع في الأرض من حدب أو نقص، وكذلك كل وقع في النفوس من مرض وموت أو خسران في تجارة أو كسب خير أو شر فمكتوب عند الله معلوم "[٣] .

ويرى الباحث أن هذا الوجه أولى من غيره؛ إذ إن إحالة الضمير على المصيبة أعم وأشمل؛ فيشمل ذلك ما وقع في الأرض أو النفس؛ فكل هذا مقدر من قبل أن تخلق المصيبة ذاتها، أضف إلى ذلك أن مقصود الكلام هو الحديث عن (المصيبة)، وليس عن (الأرض) أو (النفس)، وإنما جاء ذكرهما لأنهما محل وقوع المصيبة، وشبه الجملة (في الأرض) وما عطف عليه (في أنفسكم) في محل جر نعت لـ(مصيبة) .

* قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ(٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[٤]

اختلف في المحال على الضمير المتصل المنصوب في (إنه) على أوجه:

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٧١٩، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٤٢٤ المحرر الوجيز : ٨ / ٢٣٧، البحر المحيط : ٨ / ٣١٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٥ / ١٢٨، الكشاف : ٤/ ٤٧٩، مشكل إعراب القرآن : ٢/ ٧١٩، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٤٢٤ المحرر الوجيز : ٨ / ٢٣٧، البحر المحيط : ٨ / ٣١٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج : ٥ / ١٢٨ .

(٤) سورة فصلت، من الآية (٥٢)، وصدر الآية (٥٣) .

١- إنه محال على (الله) عزَّ وجلَّ[١]، الذي دلَّ عليه ضمير المتكلم في (سنريهم) العائد على (الله) تعالى، إحالة داخلية قبلية . يقول (الزجاج) : "سنريهم آثار من مضى قبلهم ممن كذب الرسل من الأمم، وأثر خلق الله في كل البلاد، وفي أنفسهم من أنهم كانوا نُطفًا ثم عَلَقًا ثم مُضغًا ثم عِظامًا كُسيت لحمًا، ثم نقلوا إلى التمييز والعقل، وذلك كله دليل على أن الذي فعله واحد ليس كمثله شيء "[٢] .

٢- إنه محال على (النبي) – ص - إحالة خارجية مقامية، دلَّ عليها السياق والمقام في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ﴾؛ إذ إن الكفار إنما كانوا ينكرون أن القرآن من عند الله؛ لأنهم ينكرون نبوة النبي (ص)؛ فكان في هذه الآيات في السماوات والأرض دليلٌ على نبوة النبي الذي جاء بالقرآن من عند الله عز وجل .

٣- إنه محال على (القرآن أو الشرع، أو الإسلام)[٣] إحالة داخلية قبلية ، على قوله تعالى في الآية السابقة عليها : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، أي " أخبروني عن حالكم إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به وشاققتم في اتباعه من أضل منكم)؛ إذ أنتم المشاقون فيه والمعرضون عنه والمستهزئون بآيات الله "[٤] .

ويرجح الباحث الوجه الأخير بإحالة الضمير على (القرآن)؛ إذ إنه يتناسب مع المعنى في الآية الأولى، وهو أقرب إلى الضمير، أضف إلى ذلك

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٩٢/٤، البيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٣٤٣.

(٢) معاني القرآن : ٤ / ٢٩٣.

(٣) انظر: الكشاف : ٤ / ٢٠٦، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٣٤٣، المحرر الوجيز : ٧ / ٤٩٧، البحر المحيط : ٧ / ٦٦٨.

(٤) البحر المحيط : ٧ / ٦٦٨.

أن الكفار لم ينكروا وجود الله – عزَّ وجلَّ – بدليل حكاية القرآن عنهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيم ﴾[3]، وإنما كانوا ينكرون القرآن ونبوة النبي (ص)؛ لا لشيء إلا حسدًا من عند أنفسهم، وبالتالي فإن في إثبات صحة القرآن إثبات لصدق نبوته (ص). كما أن تعبير القرآن بالسين التي تدل على المستقبل في (سنريهم) يتناسب مع القرآن كمعجزة خالدة على مرِّ الزمان؛ فكانت العجائب التي تتبدى كل يوم في السماوات والأرض وفي أنفسنا تجد لها أصلًا وإشارة في القرآن الذي يقرُّ الجميع بأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

* *

(١) سورة الزخرف، من الآية (٨٧).

(٢) سورة العنكبوت، من الآية (٦٥) .

(٣) سور ة الزخرف، من الآية (٩).

المبحث الثالث

ضمير الغائب المجرور

سنذكر في هذا المبحث نماذج لضمير الغائب المجرور، وبيان تعدد الإحالة عليه، من ذلك :

* قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ . . . . . ﴾[1]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (حبه) على أوجه:

١- إنه محال على (المال)[2]، إحالة داخلية قبلية؛ إذ هو الأقرب إلى الضمير، يقول أبو حيان : " والظاهر أن الضمير في (حبه) عائد على (المال) لأنه أقرب مذكور "[3]، ولذلك عده ابن الأنباري أوجه الآراء[4] .

٢- إنه محال على (المؤمن المعطي المال)[5]، وهو نفسه ما عناه (ابن الأنباري) من عود الضمير على (مَنْ) الموصولة؛ حيث إنها تؤول مع صلتها بـ (المؤمن)[6]، وهي بذلك (إحالة داخلية قبلية)، ويكون المعنى على ذلك : وآتى المال على حب المؤمن للمال ذوي القربى، أي حال كون المؤمن محبًا للمال، وعلى هذا فمفعول(حُبّ) محذوف تقديره (المال)،

---

(١) سورة البقرة، من الآية (١٧٧).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١/ ١١٨، الكشاف : ١ / ٢١٨، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٣٩، المحرر الوجيز : ١ / ٤٢٠، البحر المحيط : ٢/ ١٠ .

(٣) البحر المحيط : ٢ / ١٠.

(٤) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٣٩ .

(٥) مشكل إعراب القرآن : ١ / ١١٨.

(٦) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٣٩.

ويكون (ذوي القربى) منصوبًا بـــ (آتى)، أو يكون (ذوي القربى) منصوبًا بـــ(حب)[١] . ولعل هذا الوجه يبين مدى انصياع المؤمن لأمـــر الله، فهـــو يكسر في نفسه شهوة حب المال، ولعله يتفق مع قوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[٢]؛ فالثواب الكامل لا يتحقق إلا إذا كان في الـــنفس هوى لما تنفقه وميل إليه .

٣- إنه محال على (الله) في قوله : " (من آمن بالله)[٣]، وهي بذلك إحالة داخلية قبلية؛ أي : آتى المال حال كونه محبا الله؛ فيكون حـــب الله دافعـــه إلـــى الإيتاء، لا يبغي بذلك إلا وجه الله عز وجل .

٤- إنه محال على (الإيتاء)[٤] دلَّ عليه الفعل (آتى) قبله، وبذلك تكون إحالـــة داخلية قبلية . واختلف في المعنى فقال ابن عطية : " أي : في وقت حاجة من الناس وفاقة؛ فإيتاء المال حبيب إليهم" [٥]. وذكر أبو حيـــان أن حـــب الإيتاء يعود علي المعطي، واعترض عليه بقوله : " إنه بعيد مـــن حيـــث اللفظ، ومن حيث المعنى؛ أما من حيث اللفظ فإنه يعود على غير مـــصرح به، وعلى أبعد من المال . وأما المعنى فلأن من فعل شيئًا وهو يحب فعله لا يكاد يمدح على ذلك؛ لأن في فعله ذلك هوى نفسه ومرادها "[٦] . وعليه فإن التأويل الذي ذكره ابن عطية أوجه وأقرب إلى المعنى .

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ١١٨، ١١٩.

(٢) سورة آل عمران، من الآية (٩٢) .

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ١١٨، والكشاف : ١ / ٢١٩، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٤٠.

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ١ / ١١٨، والكشاف : ١ / ٢١٩، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١٤٠.

(٥) المحرر الوجيز : ١/ ٤٢٠.

(٦) البحر المحيط : ٢ / ١٠ .

ويرجح الباحث الوجه الأول؛ لاتفاقه مع القاعدة النحوية التي ترى أن إحالة الضمير تكون لأقرب مذكور، ولا يعود الضمير على غيره إلا بدليل . كما أنه أبلغ في المعنى؛ إذ إن قوله تعالى : " على حبه " جاء اعتراضًا بليغًا على حد قول (ابن عطية)[١]؛ إذ وقع اعتراضًا بين المفعولين (المال، وذوي القربى) فكان (على حبه) مبينًا إيثار المؤمن غيره بالمال وهو يحبه، وهو بذلك يكافئ قوله تعالى : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا " [٢].

* قوله تعالى : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[٣]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (فيه) على أوجه :

١- إنه محال على (الطين)[٤]، إحالة داخلية قبلية على الطين المذكور قبله. وعليه فالمعنى : فأنفخ في الطين . وربما كان هذا مجازًا مرسلًا باعتبار ما سيكون؛ لأنه لا يُتصور النفخ في الطين؛ وإنما النفخ يكون في المخلوق من الطين أو ما سيخلق منه .

٢- إنه محال على (المخلوق) الذي دلَّ عليها الفعل (أخلق)[٥] إحالة داخلية قبلية، وربما يتفق هذا مع الوجه السابق؛ إذ إن الطين سيكون فيما بعد هو الشيء المخلوق الذي سينفخ فيه .

٣- إنه محال على (الطير) قبله[٦]، إحالة داخلية قبلية باعتبار ما سيكون؛ لأن عيسى عليه السلام لم ينفخ في الطير وإنما نفخ في هيئة الطير التي لن

---

(١) انظر: المحرر الوجيز : ١ / ٤٢٠.

(٢) سورة الإنسان، الآية (٨) .

(٣) سورة آل عمران، من الآية (٤٩).

(٤) انظر: معاني القرآن : ١ / ٢١٤، وأجاز الزجاج هذا الرأي : انظر معاني القرآن : ١ / ٤١٣.

(٥) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٢٠٥.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج : ١ / ٤١.

تصير طيرًا إلا بعد نفخ الروح فيها بدليل قوله تعالى : " فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله " . يقول (الزجاج) : " يقال إنه صنع كهيئة الخفاش، ونفخ فيه فصار طيرًا . فالمعنى إذًا على الطير" [١].

٤- إنه محال على (الهيئة)[٢]، إحالة داخلية قبلية؛ إذ إن النفخ سيكون في الهيئة التي خُلقت، والتي ستتحول بالنفخ إلى طائر يطير . وعلل (مكي) مجيء الضمير مذكرًا مع أن الهيئة مؤنثة بقوله : " والهيئة مصدر في موضع المهيَّأ؛ لأن النفخ لا يكون في الهيئة، إنما يكون في المهيَّأ "[٣]؛ وعليه فإنه "أوقع المصدر موقع المفعول، كقولهم : هذا نسج ألين، أي : منسوجه، وقوله تعالى : ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾[٤] " [٥] فجاء الضمير مذكرًا حملًا على المعنى .

٥- إنه محال على (الكاف)[٦] في (كهيئة)، إحالة داخلية قبلية، على اعتبار أن (الكاف) اسم بمعنى (مثل)[٧] . يقول (الزمخشري): " أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير "[٨] ، ويكون التقدير : فأنفخ في مثل هيئة الطير فيكون

---

(١) معاني القرآن : ١ / ٤١٣ .

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٢٤٤، البيان في غريب القرآن : ١ / ٢٠٥.

(٣) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٢٤٤ .

(٤) سورة لقمان، من الآية : (١١).

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٢٠٥.

(٦) الكشاف : ١ / ٣٦٤، وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٢٠٥، البحر المحيط : ٢ / ٧٤٤.

(٧) ذكر أبو حيان أن اعتبار (الكاف) اسم هو مذهب الأخفش، وهو المفعول به للفعل أخلق، ومفعوله عند الجمهور محذوف تقديره (هيئة)، أي : أخلق هيئة كهيئة الطير . انظر البحر المحيط : ٢ / ٧٤٤ .

(٨) الكشاف : ١ / ٣٦٤.

طيرًا بإذن الله . وربما كان الدافع لهذا هو البحث عن محال عليه مذكر يعود عليه الضمير؛ إذ هو في المعنى كالوجه السابق .

ولعل أقرب ما يمكن أن يحال عليه الضمير هو قوله تعالى: " كهيئة الطير "على اختلاف تأويله؛ بدليل أن الضمير أحيل عليه فجاء مؤنثًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾[1]

* قوله تعالى : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾[2]

اُختلِف في المحال على الضمير المتصل المجرور في (من بعده) على وجهين :

١- إنه محال على (الله) تعالى[3]، إحالة داخلية قبيلة على قوله تعالى : " إن ينصركم الله " وعلى الضمير المستتر العائد على (الله) في " وإن يخذلكم "، والمعنى فمن ينصركم من بعد الله إن خذلكم، أو كما يقول (الزمخشري) : "هو من قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان، تريد إذا جاوزته "[4].

٢- إنه محال على (الخذلان)[5] إحالة داخلية قبلية؛ لدلالة (يخذلكم) عليه؛ والمعنى : فمن ينصركم من بعد خذلان الله لكم .

ويرى الباحث أن كلا الوجهين جائز لاحتمال المعنى لهما .

---

(١) سورة المائدة، من الآية : (١١٠).

(٢) سورة آل عمران، من الآية (١٦٠).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٧٨، الكشاف : ١ / ٤٣٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٢٣٠.

(٤) الكشاف : ١ / ٤٣٢.

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ١٧٨، الكشاف : ١ / ٤٣٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ١٠ /٢٣٠.

* قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (ذريته) على وجهين :

١- إنه محال على (نوح) عليه السلام[٢] إحالة داخلية قبلية يقول (مكي): "والهاء في ذريته تعود على (نوح) "[٣]، وعلل أبو حيان ذلك بقوله : "عاد الضمير عليه؛ لأنه أقرب مذكور، ولأن في جملتهم [أي الأنبياء] لوط، وهو ابن أخي إبراهيم؛ فهو من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم " [٤].

٢- إنه محال على (إبراهيم) عليه السلام[٥]، إحالة داخلية قبلية، يقول أبو حيان : " وقيل : ومن ذرية إبراهيم، عاد الضمير عليه؛ لأنه المقصود بالذكر "[٦]؛ إذ إن هذه الآية وقعت ضمن الحديث عن إبراهيم عليه السلام وقصته مع قومه ومحاجتهم له .

---

(١) سورة الأنعام، الآيات (٨٣ : ٨٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء :١ / ٣٤٢، معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٢٦٩، مشكل إعراب القرآن : ١ / ٢٥٩، الكشاف : ٢ / ٤٣، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٣٢٩، المحرر الوجيز : ٣ / ٣٠٩، البحر المحيط : ٤ / ٢٢٤.

(٣) مشكل إعراب القرآن :١ / ٢٥٩.

(٤) البحر المحيط : ٤ / ٢٢٤، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٣٢٩.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٢٦٩، الكشاف :٢ /٤٣، البحر المحيط : ٤ / ٢٢٤

(٦) البحر المحيط : ٤ / ٢٢٤.

ورفض القائلون بعود الضمير على (نوح) عليه السلام ذلك، يقول (مكي): "ولا يجوز أن تعود [أي الهاء] على إبراهيم؛ لأن بعده ولوطًا، ولوط إنما كان من ذرية نوح، وكان في زمان إبراهيم؛ فليس هو من ذرية إبراهيم"[١]، وذكر ابن عطية أن (لوط) ابن أخي إبراهيم، أو ابن أخته.[٢]

وردوا عليهم بقولهم : إن العرب أحيانا تقول للخال أبًا[٣]، أو للعمّ[٤]، أو أنه على تأويل ووهبنا له لوطًا في المعاضدة والنصرة .[٥]

ويرجح الباحث أن الضمير يعود على (إبراهيم) عليه السلام، وإن لم يكن هو أقرب مذكور إلى الضمير . وذلك للأسباب الآتية :

١- إن (إبراهيم) عليه السلام هو محور الحديث في الآيات بدءًا من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾[٦]، حتى ختام القصة .

٢- إن كل الضمائر التي سبقت ذكر نوح في الآيات إنما ترجع إلى إبراهيم عليه السلام .

٣- إذا تأملنا في ذكر (نوح) عليه السلام في الآيات سنجده جاء مرة واحدة، بخلاف (إبراهيم) عليه السلام الذي جاء ذكره ثلاث مرات صراحة، ناهيك عن المرات العديدة التي ذكر فيها بالضمير المتكلم، والمخاطب والغائب .

٤- إن ذكر (نوح) عليه السلام جاء وسط قصة (إبراهيم) عليه السلام بعد قوله تعالى متحدّثًا عن (إبراهيم) عليه السلام : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا﴾ ثم قال : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾؛ فإن جملة (ونوحًا هدينا

---

(١) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٢٥٩، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٣٢٩ .
(٢) المحرر الوجيز / ٣ / ٣٠٩ .
(٣) انظر المحرر الوجيز : ٣ / ٣١٠.
(٤) نقله أبو حيان عن ابن عباس، انظر البحر المحيط : ٤ / ٢٢٤ .
(٥) انظر: البحر المحيط : ٤ / ٢٢٤ .
(٦) سورة الأنعام، صدر الآية (٧٤).

من قبل) يمكن اعتبارها جملة اعتراضية من باب الاحتراس ودفع الوهم بقصر الهداية على إسحاق ويعقوب، بل إن جدهم الأكبر نوح عليه السلام كان أيضًا من المهتدين، ولا سيما أنه بعد الطوفان وغرق الكافرين كان هو بمنزلة أبي البشر، وكان من ذريته إبراهيم عليه السلام . وعليه يكون الكلام ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ومن ذريته داود ... .

٥- إن من أحال الضمير على (نوح) عليه السلام استند في المقام الأول إلى وجود (لوط) بين الأنبياء الذين ورد ذكرهم في الآيات وهو ليس من ذرية إبراهيم . والمتأمل في ترتيب لوط بين الأنبياء يجد أنه آخرهم ذكرًا، وأنَّ من سبقه من الأنبياء جاءوا بعده زمنيًا . والمعروف أن لوطًا كان ابن أخي إبراهيم أو ابن أخته كما مرَّ آنفًا . فذكر(لوط) متأخرًا يوحي بأنه ليس من ذرية إبراهيم ويمكن نصبه بفعل مقدر، أو جعله معطوفًا وأنه من ذريته – على ما ذكرنا من قبل – من باب أن العرب تجعل العم أو الخال أبًا، أو أنه من ذريته من باب النصرة والمعاضدة؛ إذ كان من المؤمنين المستجيبين لدعوته كما حكى عنه القرآن، في قوله تعالى : ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾[١]

* قوله تعالى :﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (به) على أوجه :

١- إنه محال على (ما) الموصولة المذكورة قبله[٣]؛ إحالة داخلية قبلية . والمعنى : ترهبون بما استطعتم من القوة ومن رباط الخيل عدو الله

(١) سورة العنكبوت، من الآية (٢٦).
(٢) سورة الأنفال، من الآية (٦٠).
(٣) انظر: الكشاف : ٢ / ٢٣٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٣٩١، البحر المحيط: ٤ / ٦٥٠.

وعدوكم . وعليه يكون المعنى عامًا شاملًا القوة ورباط الخيل معًا. وجعْل (ما) هي أقرب ما يعود عليه الضمير من حيث التركيب لا من حيث اللفظ، واعتبار جملة الصلة تفسيرية وتوضيحية لهذا الاسم الموصول؛ فهي جزء منه كما يرى النحاة.

٢- إنه محال على (الإعداد)[١] إحالة داخلية قبلية، دلَّ عليها لفظ الفعل(أعدوا) فيكون المعنى : ترهبون بالإعداد عدو الله .....؛ وعليه يكون ذلك (الإعداد) شاملًا عامًا، ويكون الإرهاب المتحقق للأعداء والذي دعت إليه الآية شاملًا كل مظاهر القوة أيضًا .

٣- إنه محال على (رباط)[٢] إحالة داخلية قبلية؛ على أنه هو الأقرب لفظًا إلى الضمير؛ فيكون المعنى : ترهبون برباط الخيل عدو الله وعدوكم . وعليه يكون الإرهاب مقصورًا على رباط الخيل وحده فقط دون بقية مظاهر القوة الأخرى المتنوعة والمختلفة من عصر لآخر، وهذا يضيق المعنى، وربما يذهب بإعجاز القرآن الذي يصلح لكل مكان وزمان .

٤- إنه محال على (من قوة)[٣]، إحالة داخلية قبلية؛ فيكون المعنى : ترهبون بالقوة عدو الله وعدوكم؛ لكن هذا يلزمه أن الضمير مؤنثًا (بها)؛ لأن القوة مؤنثة .

ويرجح الباحث الوجهين الأولين، ويرى أنهما الأقرب للصواب والأدلُّ على المعنى المراد؛ نظرًا لدلالاتهما على العموم والشمول كما أشرنا .

---

(١) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٣٩١، البحر المحيط : ٤ / ٦٥٠.

(٢) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٣٩١، البحر المحيط : ٤ / ٦٥٠.

(٣) انظر: البحر المحيط : ٤ / ٦٥٠ .

* قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[١]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (فيها) في الموضعين (لهم فيها) و(خالدين فيها) على أوجه :

١- إنه محال على (جنات)[٢] إحالة داخلية قبلية على (جنات) المذكورة قبله، والمعنى : لهم في الجنات نعيم مقيم؛ إذ إنها الأقرب إلى الضمير، وعليه فإن الجملة الاسمية (لهم فيها نعيم مقيم) في محل جر نعت لـ (جنات) . وربما كانت الإحالة إلى (جنات) " مقابلًا لقوله : (هاجروا) لأنهم تركوا أوطانهم التي نشئوا فيها "[٣]، وتغربوا تاركين أموالهم وأهليهم؛ فكان أولى بهم وجزاءً لهم أن يستقروا في هذه الجنة التي لهم فيها النعيم المقيم، ودار القرار خالدين فيها أبدًا .

٢- إنه محال على (الرحمة)[٤]، إحالة داخلية قبلية، أي لهم في الرحمة نعيم مقيم، على اعتبار أن الـ (رحمة) هي الأصل؛ فهي المعطوف عليه، و(الرضوان والجنات) معطوفان تابعان لها؛ فتكون هي الأقرب إلى الضمير تركيبًا لا لفظًا، وبالتالي فإن ما بعدها من المعطوفين يأخذان حكمها؛ فيكون فيهما النعيم المقيم أيضًا . كما يقوي هذا أن (الرحمة) هي

(١) سورة التوبة الآيتان (٢٠، ٢١)، وصدر الآية (٢٣) .
(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٢٦، البيان في غريب القرآن :١/ ٣٩٦.
(٣) البحر المحيط : ٥ / ٢٨ .
(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٢٦، البيان في غريب القرآن : ١ / ٣٩٦.

"الوصف الأعم الناشئ عنها تيسير الإيمان لهم "[1] وتكون الجملة الاسمية في محل جر نعت لـــ (رحمة).

٣- إنه محال على (البشرى)[2]، إحالة داخلية قبلية، دلَّ عليها قوله تعـــالى : "يبشرهم ربهم " قبلها؛ ويكون المعنى لهم في البشرى نعيم مقيم . وهو بذلك يجعل المعنى أوسع وأشمل؛ لكون البشرى تشمل الأمور الثلاثـــة مجتمعـــة (الرحمة، والرضوان، والجنات)؛ فتكون البشرى في كـــل هـــذه الأمـــور مجتمعة؛ إذ إن الجار والمجرور في (برحمة)، وما عطف عليـــه متعلـــق بالفعل (يبشرهم) . وعلى هذا الوجه يجوز الوقف على (جنـــات)، وتكـــون جملة (لهم فيها نعيم مقيم) جملة استئنافية .

ويرى الباحث أن هذا الرأي هو أوجه تلك الآراء؛ نظرًا لاتساع المعنـــى، وبيان مدى فضل الله وكرمه مع عباده المؤمنين .

* قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[3]

---

(١) البحر المحيط : ٥ / ٢٧ .

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٢٦، البيان في غريب القرآن : ١ / ٣٩٦.

(٣) سورة النحل، الآيتان : ٩١، ٩٢ . والمعنى : " أوفوا بعهد الله وأيمانكم ولا تنقضوها، حالكم في هذا حال هذه المرأة التي كانت تغزل غزلها وتحكمه، ثم تنقضه ؛ فلا تنقضوا عهودكم وأيمانكم لأن تكون أمة هي أربى وأكثر من أمة ؛ فإنهم كانوا يحالفون الحلفاء ؛ فإذا وجدوا من هم أكثر وأعز نقضوا حلف هؤلاء، وحالفوا آخرين . تفسير الجلالين، ص ٣١١، طبعة المعاهد الأزهرية : ١٤٣٧هـ -٢٠١٦ م .

اُختلِف في المحال عليه ضمير الغائب المجرور في (إنما يبلوكم الله به)، على أوجه :

١- إنه محال على الوفاء بالعهد[١]، إحالة داخلية قبيلة على قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾. ويكون المعنى إنما يبلوكم الله بالعهد والوفاء به؛ إذ إن حفظ العهود والأمانات من عزم الأمور .

٢- إنه محال على (الكثرة أو التكاثر)[٢]، إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى : ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾، أي : إنما يبلوكم الله بالكثرة والتكاثر، وطلب بعضكم الظهور على بعض فينضم لجماعة ويترك غيرها طمعًا في قوتهم وكثرتهم؛ فكان في هذا اختبار وفتنة وابتلاء .

وقال ابن الأنباري : " لما كان تأنيثها [أي الكثرة] غير حقيقي، حُمل على معنى التذكير، كما حملت الصيحة على الصياح "[٣] .

٣- إنه محال على المصدر المنسبك من (أن تكون)[٤]، إحالة داخلية قبلية على قوله تعالى : " أن تكون أمة هي أربى من أمة "؛ " أي : إنما يختبركم بكونهم

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن: ٤٢٥/١، البيان في غريب إعراب القرآن: ٢ / ٨٣، المحرر الوجيز : ٥ / ٤٠٤، البحر المحيط : ٥ / ٦٧٥

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٢٥، الكشاف : ٢ / ٦٣١، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٨٣، المحرر الوجيز : ٥ / ٤٠٤، البحر المحيط : ٥ / ٦٧٥.

(٣) ذكر ذلك أبو حيان، البحر المحيط : ٥ / ٦٧٥، ولم أقف عليها في مظانها عند ابن الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن . و(المنسبك) هو التعبير الذي استخدمه أبو حيان في البحر المحيط، وآثار الباحث استخدامه دون غيره لتوافقه مع مصطلحات نحو النص، ما يدل على وجود جذور لنحو النص في التراث العربي .

(٤) انظر: الكشاف : ٢ / ٦٣١، البحر المحيط : ٥ / ٦٧٥ و(المنسبك) هو التعبير الذي استخدمه أبو حيان في البحر المحيط، وآثار الباحث استخدامه دون غيره لتوافقه مع مصطلحات نحو النص، ما يدل على وجود جذور لنحو النص في التراث العربي .

أربى، لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ)، أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوّتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم "[1].

ويرجح الباحث الإحالة على الوفاء بالعهد؛ إذ إن محور الآيات يدور حول العهد والوفاء به، وهو أمر بلا شك ثقيل يحتاج إلى عزيمة وقوة إيمان؛ لذا جعل الله هذا الأمر في مفتتح سورة المائدة مخاطبًا المؤمنين بقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ﴾؛ فكان الحفاظ عليه ابتلاء واختبارًا . كما أنه لو اعتبرنا قوله تعالى : "﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ..... أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ اعتراضًا ساقه الله تشبيهًا لناقضي العهود؛ فسيكون الوفاء بالعهد هو أقرب مذكر إلى الضمير .

* قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾[2]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (خلاله) على أوجه :

١- إنه محال على (السحاب)[3]، إحالة داخلية قبلية على الاسم الظاهر (سحابًا)، وضميري الغائب العائدين عليه في (فيبسطه، وفيجعله)، " وذُكِّر الضمير؛ لأن السحاب اسم جنس يجوز تأنيثه وتذكيره "[4] .

---

(١) الكشاف :٢ / ٦٣١.

(٢) سورة الروم، من الآية (٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٤ / ١٨٩، مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٢، البيان في غريب إعراب القرآن :، المحرر الوجيز : ٧ / ٣٣، البحر المحيط : ٧ / ٢٣٢.

(٤) البحر المحيط : ٧ / ٢٣٢.

٢- إنه محال على (كِسَفًا)[١]، إحالة داخلية قبلية وذكر مكي أن الضمير ذُكر " كما في قوله تعالى :﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٢] فعاد الضمير المذكر في (منه) على الشجر مراعاة للفظ لا للمعنى[٣]. وذكر ابن عطية أن الضمير يعود على (كِسْفًا) في قراءة من سكن السين فقط[٤]، لأنه سيكون مفردًا، ولا يجوز على قراءة من فتح السين لأنه سيكون جمعًا تكسيريًا، ولذا يجب تأنيث الضمير في (خلاله)؛ وعليه فإن الضمير يعود على السحاب فقط؛ غير أنه ورد في المعاجم أن الكسف بفتح السين وسكونها جمع كِسْفَة[٥]؛ فيكون جائز عود الضمير على كسفًا بفتح السين .

ويرجح الباحث الرأي الأول بإحالة الضمير على (السحاب)؛ إذ هو الأقرب إلى الضمير؛ وهو محور الحديث، والمتحدث عنه في الآية، ولأن (الكِسَف) ما هو إلا قطع من السحاب؛ فهو سحاب لكنه متفرق، فيكون داخلًا أيضًا في جملة السحاب .

* قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٦]

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٢ .

(٢) سورة الواقعة، من الآية (٨٠).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٦٢، المحرر الوجيز : ٧ / ٣٤.

(٤) هي قراءة : ابن عامر، وأبو جعفر وغيرهما. انظر: معجم القراءات القرآنية: ٥ / ٧٤.

(٥) انظر: المعجم الوسيط : ٢ / ٧٨٧.

(٦) سورة النحل، الآيات (٩٨ : ١٠٠).

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (به) على وجهين :

١- إنه محال على الله عز وجلً[١]، إحالة داخلية على قوله تعالى : " فاستعذ بالله "، أو على (ربهم) في قوله تعالى : " وعلى ربهم يتوكلون "[٢]، والمعنى : إنما سلطان الشيطان على الذين يتولونه والذين هم مشركون بالله؛ إذ إن الإشراك لا يكون إلا بالله تعالى .

٢- إنه محال على (الشيطان)[٣]، إحالة داخلية قبلية، والمعنى كما يقول ابن عطية : " من أجله وبسببه، كما تقول لمعلمك : أنا أعلم بسببك، فكأنه قال : والذين هم بسببه مشركون بالله "[٤] . وعلق أبو حيان على هذا الوجه بقوله : "وهو الظاهر لاتفاق الضمائر "[٥]، أي الضمائر التي سبقته، والتي تعود على الشيطان، وهي : إنه، وسلطانه، ويتولونه .

ويرجح الباحث إحالة الضمير على (الشيطان)؛ إذ إنه الأقرب إلى الضمير، بالإضافة إلى أنه محور الحديث؛ فالآيات تتحدث عن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ثم تبين أن ليس للشيطان سلطان على المؤمنين، وأن سلطانه على من أشرك بسببه، بالإضافة إلى تناسق الضمائر كما ذكر أبو حيان.

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٢٥، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٨٣، المحرر الوجيز : ٥ / ٤٠٧.

(٢) انظر: الكشاف : ٢ / ٦٣٤، البحر المحيط : ٥ / ٦٧٩.

(٣) مشكل إعراب القرآن: ٤٢٥/١، الكشاف: ٦٣٤/٢، البحر المحيط : ٥ / ٦٧٩ .

(٤) المحرر الوجيز : ٥ / ٤٠٧، وجعل ابن عطية هذا الوجه هو الظاهر .

(٥) البحر المحيط : ٥ / ٦٧٩.

* قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في قوله (فيه) على أوجه :

١- إنه محال على الشراب أو العسل[٢]، إحالة داخلية قبلية على (شراب) قبله؛ إذ هو أقرب مذكور إلى الضمير؛ ولأنه معروف لدى الجميع أنه دواء وشفاء للأمراض، كما أنه محور الحديث في الآيتين . وتكون الجملة الاسمية (فيه شفاء للناس) في محل رفع نعت لـ (شراب).

٢- إنه محال على (القرآن)[٣]، إحالة خارجية (مقامية)؛ يقول الزجاج : "وقيل: إن الهاء للقرآن، والمعنى : في القرآن شفاء للناس، وهذا القول إذا فُسِّر عُلم أنه حسن. والمعنى : فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن الله واحد شفاء للناس[٤]، ويرى الباحث أن هذا الرأي يعضده قوله تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] ، وعلى هذا الوجه يجوز الوقف على (ألوانه)، ويكون ما بعده جملة مستأنفة .

---

(١) سورة النحل، الآيتان (٦٨، ٦٩).
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء : ٢ /١٠٩، معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٢١١، مشكل إعراب القرآن :١ / ٤٢٣، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٨٠.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء : ٢ /١٠٩، معاني القرآن للزجاج : ٣ / ٢١١، مشكل إعراب القرآن :١ / ٤٢٣، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٨٠.
(٤) معاني القرآن : ٣ / ٢١١ .
(٥) سورة الإسراء، من الآية (٨٢) .

ويرجح الباحث الوجه الأول؛ إذ هو الأولى والأقرب إلى المعنى؛ فالقرآن لم يأت له ذكر في الآيات؛ بالإضافة إلى أن محور الحديث هو النحل والشراب الذي يخرج من بطونه، وما نراه من عجب في أمر النحل من بنائها تلك البيوت المسدسة في الجبال والشجر وغير ذلك، وطعامها من مختلف الأزهار والثمرات .

* قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد (١٥) مِّن وَرَآئِه جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيد (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيه الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِه عَذَابٌ غَلِيظ ﴾[1]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المجرور في (ورائه)، على وجهين :

١- إنه محال على (الكافر) أو (الجبار العنيد)[2]، إحالة داخلية قبلية، وفُسِّر معنى (ورائه) بـ (أمامه) أو (قدامه)؛ يقول الأخفش : " (ومن ورائه) أي: من أمامه، وإنما قال (وراء) أي : أنه وراء ما هو فيه، كما تقول للرجل: (هذا من ورائك)، أي : سيأتي عليك، و(هو من وراء ما أنت فيه)؛ لأن ما أنت فيه قد كان مثل ذلك؛ فهو وراؤه . وقال[تعالى] : ﴿وَرَاءهُم مَّلِكٌ﴾[3]، في هذا المعنى، أي : كان وراء ما هم فيه "[4] .

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات (١٥ : ١٧).

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٥٩٨، مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤١٠، الكشاف: ٢ / ٥٤٦، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٥٦، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٩ .

(٣) سورة الكهف : من الآية (٧٩).

(٤) معاني القرآن :٢ / ٥٩٨، وانظر: مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٠١، الكشاف : ٢ / ٥٤٦.

٢- إنه محال على (العذاب)[١] إحالة داخلية قبلية، دل عليها صور العذاب المتقدم، والتقدير " ومن وراء ما يعذب به عذاب غليظ "[٢] .

ويرى الباحث أن الضمير محال على الكافر أو الجبار العنيد، وذلك لما يلي:

١- إن الكافر أو الجبار العنيد هو محور الحديث في الآيات المذكورة وما قبلها.

٢- إنه أقرب مذكور إلى الضمير، وذلك من خلال ضمير الرفع المنفصل (هو).

* قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ(٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٣]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (لحكمهم) على وجهين :

١ - إنه محال على (داود وسليمان)[٤]، إحالة داخلية قبلية؛ إذ هما الأقرب إلى الضمير، وهو " مما قام فيه الجمع مقام التثنية "[٥]، ومثَّل له الفراء بقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾[٦] يريد أخوين فما زاد [٧]؛ فهو من باب إطلاق الجمع والمراد المثنى . ويؤيد ذلك قراءة من قرأ : " وكنا لحكمهما شاهدين " [٨] .

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج : ٣ / ١٥٧، إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ٣٦٦، مشكل إعراب القرآن: ١/ ٤٠١، البيان في غريب إعراب القرآن: ٢/ ٥٦، المحرر الوجيز : ٥ / ٢٣٥، البحر المحيط : ٥ / ٥٢٩.

(٢) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٤٠١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٧٨)، وصدر الآية (٧٩) .

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٦٣.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٦٣ .

(٦) سورة النساء، من الآية (١١).

(٧) انظر: معاني القرآن : ٢ / ٢٠٨ .

(٨) هي قراءة ابن عباس، انظر: معجم القراءات القرآنية : ٤ / ١٤٣ .

٢- إنه محال على (الحكمين[داود وسليمان] والمحكوم عليه [الخصمين])[١] إحالة داخلية قبلية على داود وسليمان (الحكمين)، والقوم (الخصمين)، وشرح ابن عطية ذلك بقوله : " لأن الحكم ينضاف إلى جميعهم، وإن اختلفت جهات الإضافة "[٢]، ولعل ما دعا إلى ذلك هو مجيء الضمير جمعًا، وقال أبو حيان : " وليس المصدر هنا مضافًا إلى فاعل ولا مفعول، ولا عامل في التقدير؛ فلا ينحل بحرف مصدري . والفعل به هو مثل : له ذكاءٌ ذكاءُ الحكماء، وذهنٌ ذهنُ الأذكياء . وكان المعنى : وكنا للحكم الذي صدر في هذه القضية شاهدين؛ فالمصدر هنا لا يراد به العلاج بل يراد به وجود الحقيقة "[٣] .

ويرى الباحث أن الوجه الأول هو الأقرب إلى المعنى؛ نظرًا لما ذكرناه آنفًا، بالإضافة إلى أن دواد وسليمان هما محور الحديث، ومضرب المثل بين الأنبياء الذين تحدثت عنهم السورة، كما أنه من المعلوم أن الحكم إنما يكون للحكمين، وليس للمحكوم عليهم شأن فيه، يدل على ذلك قوله تعالى بعده : ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، أي : داود وسليمان .

أما من ذهب إلى إحالة الضمير على الحكمين والمحكوم عليه معًا؛ فلعله من باب التناسق بين الضمائر؛ إذ لو تأملنا جملة " وكنا لحكمهم شاهدين "لوجدنا أنها بدأت بالجمع (كنا)، وانتهت بالجمع (شاهدين) للتعظيم؛ فلهذا جاء الضمير بالجمع مشاكلة لما قبله، وبخاصة أن الجملة لا فواصل بين كلماتها الثلاثة، أو لعل الضمير جاء بالجمع تعظيمًا لحكم النبيين وأن كليهما له وجهه، وإن كان

(١) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٦٣، المحرر الوجيز : ٦ / ١٨٨، البحر المحيط : ٦ / ٤٠٤.

(٢) المحرر الوجيز : ٦ / ١٨٨ .

(٣) البحر المحيط : ٦ / ٤٠٤.

الله فهَّم سليمان، يقول أبو حيان : " والظاهر أن كُلًّا من الحكمين صواب لقوله : " وكلا آتينا حكمًا وعلمًا " [١] . أما عن إضافة الضمير لكلٍّ من الفاعل والمفعول معًا فربما يكون جمعًا بين الحقيقة والمجاز؛ فإضافته إلى الفاعل حقيقة، وإضافته إلى المفعول مجاز .

* قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ . . . ﴾[٢]

اُختلِف في المحال عليه الضمير المتصل المجرور في (نوره) على أوجه :

١- إنه محال على (الحق)، إحالة خارجية مقامية، دل عليها السياق والمقام؛ حيث لم يرد ذكر للحق في الآيات، يقول الأخفش : "فـ(المصباح) في المعنى أن مَثَل ما أنار من الحق في بيانه كمثل المشكاة، ليس لله مثل؛ تبارك وتعالى "[٣] . فهو كما نرى أحال الضمير إلى شيء خارجي؛ لأنه يرى أن الله تعالى ليس له مَثَل؛ فهو تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرِ ﴾[٤]، وهو تعالى : ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ﴾[٥] .

٢- إنه محال على تدبير الله بحكمته للكون، وجعله في أدق هيئة، إحالة خارجية مقامية، وهو قول (الزجاج)؛ حيث يرى أن قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي : مدبر أمرهما بحكمة بالغة، وحجة نيرة، ثم مثَّل نوره ذلك

(١) البحر المحيط : ٦ / ٤٠٤.
(٢) سورة النور، من الآية (٣٥).
(٣) معاني القرآن للأخفش :٢ / ٦٤.
(٤) سورة الشورى، من الآية (١١).
(٥) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

في القلوب بأبين النور الذي لم يدرك بالأبصا؛ فقال: مثل نوره كمشكاة..... فنوره جائز أن يكون ما ذكر من تدبيره "[١] .

٣- إنه محال على القرآن[٢] الذي أنزله الله نورًا وهداية للعاملين، وهي إحالة خارجية مقامية؛ إذ لم يرد ذكر للقرآن في الآيات، يقول الزجاج : "وجائز أن يكون كتابه الذي بيَّن به، فقال : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾[٣] "[٤]؛ فالزجاج كما نرى قد استند في إحالته إلى آية في سورة أخرى، وهو ما يبين كيف أدرك علماؤنا السابقون أن القرآن نص واحد، قد يُفسَّر آخره بأوله، وهو أيضًا ما يؤيده قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[٥].

واعتبره بعضهم إحالة داخلية قبلية على قوله في الآية السابقة ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ويرى الباحث أن رأي الزجاج في إحالة الضمير كما رأى أولى؛ إذ صرحت الآية بلفظ (نور) الذي وُصِف به القرآن .

٤- إنه محال على الرسول (ص)[٦]، إحالة خارجية مقامية؛ حيث لم يرد للنبي (ص) ذكر في الآيات، يقول أبو جفعر النحاس : " (نوره) : محمد؛ لأن محمدًا

---

(١) معاني القرآن : ٤ / ٤٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٤٣، المحرر الوجيز : ٦ / ٣٨٦.

(٣) سورة المائدة، من الآية (١٥).

(٤) معاني القرآن : ٤ / ٤٣ .

(٥) سورة النساء، من الآية (١٧٤).

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٣٦، وأجازه مكي بن أبي طالب، انظر: مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥١١.

في تبيانه للناس بمنزلة النور الذي يضيء لهم "[١]؛ " فهو المرشد والمبيِّن والناقل عن الله ما هونيِّرٌ بيِّنٌ"[٢] ولعل المعنى في ذلك محال إلى قوله تعالى أيضًا : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين " وقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٣] ، وقول كعب بن زهير :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ[٤]

٥- إنه محال على الإيمان في قلب المؤمن[٥]، أو قلب المؤمن والإيمان المقذوف فيه[٦]؛ إحالة خارجية مقامية، فهو مقابل لما في قلب الكافر من الكفر، يقول تعالى : " في قلوبهم مرض فزاداهم الله مرضًا "[٧] . أو لعله إحالة داخلية بعدية، على قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ الذي جاء في حديث القرآن عن الكافرين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ

---

(١) إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ١٣٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٤٣ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان : (٤٥، ٤٦).

(٤) من البسيط، انظر: شرح قصيدة بانت سعاد، تحقيق وتعليق / عبد الرحيم يوسف الجمل، مكتبة الآداب، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣ م : ص ٧٨ .

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥١٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٩٥

(٦) معاني القرآن للفراء : ٣ / ٢٥٢.

(٧) سورة البقرة، من الآية (١٠).

﴿يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1]؛ فهؤلاء الكفار كانت أعمالهم هباء منثورًا؛ لأنها لم تصدر عن قلب امتلأ بنور الإيمان كما الحال بالنسبة للمؤمن .

٥- إنه محال على (المؤمن)[2]، إحالة خارجية مقامية؛ إذ إنه لم يأت ذكر للمؤمن في الآيات، والمعنى : مثل نور المؤمن، وهو بلا شك يقصد به النور الذي أوجده الإيمان بالله في قلب المؤمن؛ فلولا هذا الإيمان بالله ما كان هذا النور ليوجد في قلب المؤمن؛ ويقوي هذا ما الوجه ما جاء في قراءة (أبي) : "مثل نور المؤمن" أو المؤمنين، أو " مثل نور من آمن به "[3].

ولعل الجامع بين هذه الأوجه السابقة هو أن أصحابها أحالوا الضمير إحالات خارجية، مع أن صدر الآية جاء فيه ذكر (الله) صراحة " الله نور السماوات والأرض"؛ فكان هو أقرب مذكور من الضمير، ومع ذلك فإنهم أحالوه إلى معانٍ خارجية؛ ولعل داعيهم إلى ذلك هو النأي بأنفسهم عن الخوض في ذات الله تعالى، والبعد عن تكييفه وتشبيهه متمسكين بظاهر قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]

٦- إنه محال على (الله) عزّوجلّ[5]، إحالة داخلية قبلية؛ إذ هو أقرب مذكور إلى الضمير؛ بل هو ما صُدِّرت به الآية ولعل هذا هو الأقرب والموافق لظاهر الآية الكريمة كما يرى أبو حيان[6]، كما أنه لا يتعارض مع قوله

---

(١) سورة النور، الآيتان : (٣٩، ٤٠).
(٢) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٩٥.
(٣) انظر: المحرر الوجيز : ٦ / ٣٨٥، البحر المحيط : ٦ / ٥٥٥.
(٤) سورة الشورى، من الآية (١١) .
(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥١١، البيان في غريب إعراب القرآن :٢ / ١٩٥، المحرر الوجيز : ٦ / ٣٨٦، البحر المحيط : ٦ / ٥٥٥.
(٦) البحر المحيط : ٦ / ٥٥٥.

تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"؛ فمذهب أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون لله الصفات دون تجسيم أو كيف. إذًا فالله تعالى له نور، لكنه ليس كالنور الذي نعرفه، وما كان في الآية من تمثيل أو تشبيه؛ فهو من باب المشابهة فقط، أو تقريب الصورة إلى العقل البشري الذي لا يمكنه ببشريته، وتكوينه الضئيل أن يدرك كنه الله عز وجل أو كنه نوره؛ فجاءت الآيات بهذه الصورة التي تتناسب مع البشر وإمكانته . وهذا ما يؤكده ما حدث مع موسى عليه السلام عندما طلب رؤية الله قائلًا : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾؛ فأجابه الله تعالى : ﴿ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾[1]؛ فالجبل كما نعلم لم يثبت أمام نور الله، وكذلك ما جاء في الحديث : عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: "نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ"؟.وفي رواية: "رَأَيْتُ نُوراً".[2]

وعليه فإن الباحث يرجح أن يكون الضمير في (نور) محال على الله عز وجلّ .

* *

(١) سورة الأعراف، من الآية (١٤٣) .

(٢) صحيح مسلم، اعتنى به/أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، كتاب الإيمان الحديث(٢٩١،٢٩٢) :٩٦/١.

الخاتمة

يعدُّ البحث في القرآن الكريم والموضوعات المتعلقة به، ولا سيما المتعلقة بالقضايا اللغوية من أمتع أنواع البحوث وأجلها وأعلاها شأنًا؛ نظرًا لارتباطها بهذا الكتاب المقدس الذي بلغ أسمى درجات الفصاحة والبيان؛ من حيث اختيار الألفاظ وانسجامها، ودقة اختيار المعاني وترابطها في نسيج محكم. وقد انطلق الباحث من معطيات نحو النص معتمدًا على إحدى معطياته، وهي الإحالة التي تعد أحد أدوات التماسك النصي، وبيان أثر اختلاف وتعدد المحال عليه في المعنى. وقد توصل الباحث من خلال بحثه لبعض النتائج، من أهمها:

١- الإحالة من أهم وسائل التماسك والترابط النصي؛ إذ تسهم في تحقيق التماسك اللفظي للنص، ما يجعل النص، أكثر حضورًا ووضوحًا في ذهني للمتلقي .

٢- كانت الإحالة الداخلية القبلية هى الأكثر انتشارًا داخل النصوص القرآنية التي اعتمد عليها البحث، وهو ما يؤكد ضرورة وجود العناصر المحال عليها بشكل واضح وفاعل في النص . تلاها الإحالة الداخلية البعدية، ثم الإحالة الخارجية .

٣- يعد انتشار الإحالة الداخلية القبلية في النصوص التي قدمناها؛ نظرًا لما يجد فيها المتلقي من السهولة واليسر؛ فحين يُذكر اسمٌ، ثم يُذكر بعده ضميرٌ يعود عليه طلبًا للاختصار، فإن المتلقي لا يجد صعوبة في الفهم، والوصول إلى المعنى المراد .

٤- أكدت الإحالة بشكل عام، والخارجية بشكل خاص أن القرآن الكريم وحدة واحدة مترابطة، مع أنه نزل في أوقات وأماكن متفرقة؛ إذ كان المحال عليه أحيانًا يقع في سورة أخرى غير التي وقع فيها الضمير.

٥- ضرورة الاهتمام بالجملة الأولى أو الفقرة الأولى من الآيات التي وقع فيها الضمير؛ إذ إن لها دورًا واضحًا في توجيه الإحالة، وترجيح محال عليه على آخر .

٦- كان لتعدد واختلاف المحال عليه أثره في تعدد المعنى، واختلاف أوجه بيان القرآن الكريم .

٧- كان لتعدد واختلاف المحال عليه أثره في اختلاف وتعدد الأوجه الإعرابية لبعض المواضع القرآنية .

٨- ظهر جليًا دور علمائنا القدماء وجهدهم في تفسير وبيان معاني النص القرآني، وحرصهم على ذلك من خلال تعدد ما أحيل عليه الضمير .

٩- اختلاف الموقع الإعرابي للضمير الغائب المحال عليه، بين الرفع والنصب والجرِّ .

* *

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

١- الإحالة وأثرها في النص القرآني، د / أنس بن محمود فجَّال، نادي الإحساء الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .

٢- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .

٣- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه: د / عبد الزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م .

٤- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د / تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٥- البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق: د / طه عبد الحميد، مراجعة د / مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠ م .

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، وزارة الإعلام بالكويت، الجزء الثامن والعشرون، حققه: د / محمود محمد الطناحي، راجعه الأستاذ / عبد السلام محمد هارون.

٧- تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة وتعليق: د/ محمد لطفي الزيلطني، د/ منير التريكي، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٨- تحليل الخطاب القرآني في ضوء الاتجاه النصي تطبيقات على آيات الوعد والوعيد في السور المكية، رسالة ماجستير، الباحث / سعد صهيب خضر، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م .

٩- الاتساق في العربية، رسالة ماجستير، الباحث / حازم رشك حسَوني، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦ م .

١٠- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ .

١١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء : محمد رضوان عرقسوسي، ماهر حبُّوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م .

١٢- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د/ سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م .

١٣- شرح كافية ابن الحاجب للرضي، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه، د / إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٤ م .

١٤- شرح المفصل موفق الدين بن يعيش، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، المطبعة المنيرية، بدون تاريخ

١٥- ضمير الغائب في المجال المقارن، د / عبد القادر الفاسي الفهري، مجلة مجالات لغوية، الكليات والوسائط، منشورات كلية الآداب، والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٤ م .

١٦- ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة والبنية والدلالة، د / سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

١٧- العائدية الخطابية : مقاربة تداولية معرفية، الأستاذ / لحسن توبي، مجلة اللسان العربي، العدد (٤٥) .
١٨- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د / صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .
١٩- الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر، رتبه وضبطه وصححه : مصطفى حسن أحمد، دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة ،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .
٢٠- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، طبعة جديدة مصححة، اعتنى بتصحيحها : أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .
٢١- لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م
٢٢- اللغة والإبداع الأدبي، د / محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م .
٢٣- المحرر الوجيز، تحقيق وتعليق : الرحالة الفاروق، وآخرين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م .
٢٤- مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند ودريسلر وآخرون، دار الكتاب، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م .
٢٥- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٨م .

٢٦- مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنياك، ترجمه وعلق عليه د / سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٢٧- مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د / حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤ م .

٢٨- معانى القرآن الأخفش الأوسط أبو الحسن المجاشعي، تحقيق: د / هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

٢٩- معاني القرآن للفراء، تحقيق الأستاذين : محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م .

٣٠- معاني القرآن للزجاج، شرح وتحقيق: د / عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .

٣١- معجم القراءات القرآنية، مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، د / أحمد مختار عمر، د / عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

٣٢- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٣٢ - مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية، دكتورة ريما سعد سعادة الجرف، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٨٧، ٢٠٠١م .

٣٣- نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د / سعد مصلوح، مجلة فصول، مصر، المجلد ١٠، العدد ١، ٢، ١٩٩١م .

٣٤- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د/ أحمد عفيفي، زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م .

٣٥- النحو الوافي، الأستاذ / عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٦٣ م.

٣٦- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م .

٣٧- النص والخطاب والإجراء، ترجمة د / تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

* * *